وزارة التّعليم العالي والبحث العلمي
MINISTERE DE L'ENSEIGNEMENT SUPERIEUR ET DE LA RECHERCHE SCIENTIFIQUE
ⴰⵢⵏⵣⵎⵉⵙⵏⵜⵉⵏⵜⵉⵏⵏⵉⵙⵏⵓⵔⵉⵏⵏⵉⵙⵏⵓⵔⵉⵏⵏⵉⵙⵏⵓⵔⵉ
ⵜⴰⵙⴷⴰⵡⵜⵏⵜⵜⵓⵣⵣⵓⵔⵜⵏⵜⵜⵓⵣⵣⵓⵔⵜⵏⵜⵜⵓⵣⵣⵓⵔⵜ

UNIVERSITE MOULOUD MAMMERI DE TIZI-OUZOU
FACULTE DES LETTRES ET DES LANGUES
Département de Langue et littérature Arabes

جامعة مولود معمري – تيزي– وزو
كلية الآداب واللّغات
قسم اللّغة العربية وآدابها
الرقم..../...../2024
رقم الترتيب:
الرقم التسلسلي:

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر

الميدان: لغة وأدب عربي

الفرع: دراسات أدبية

التخصص: أدب عربي حديث ومعاصر

عنوان المذكرة:

المشترك الإنساني في روايتي "الفقراء" لدوستويفسكي و"ابن الفقير" لمولود فرعون

إعداد الطالبتين:
– كبيبر ليليا
– العاقل فيروز

إشراف الأستاذ (ة):
أ.بن أحمد تسعديث

لجنة المناقشة

د.نوارة ولد أحمد أستاذة محاضرة "أ". جامعة مولود معمري تيزي وزو..... رئيسةً
د.بن أحمد تسعديث أستاذة محاضرة "أ".جامعة مولود عمري تيزي وزو.....مناقشًا
د.مكلي شامة أستاذة محاضرة "أ". جامعة مولود معمري تيزي وزو.....ممتحنةً

السنة الجامعية: 2023–2024

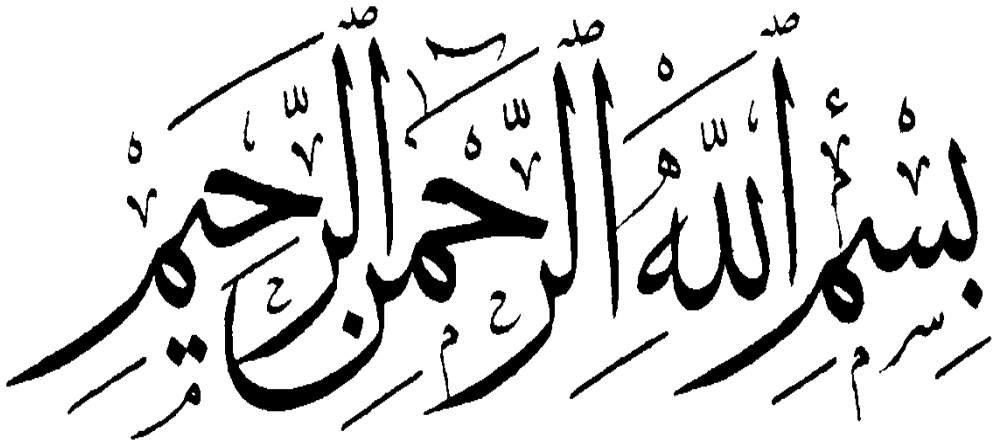

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (11)﴾

[الآية (11) من سورة المجادلة]

كلمة شكر

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أنّ الله هدانا فكل الفضل والحمد لله لإتمام هذا البحث.

فنتقدم بجزيل الشكر والتقدير للأستاذة "بن أحمد تسعديث" التي أشرفت على هذا البحث، وعلى كلّ ما قدمته لنا من نصائح وتوجيهات خلال مدة إنجازه.

كما يشرفنا أن نتقدم بجزيل الشكر إلى كلّ أعضاء اللّجنة المناقشة التي تكبدت عناء قراءة بحثنا وتصويبه.

كما نتقدم بالشكر الجزيل إلى كلّ من ساعدنا في عملنا من قريب أو من بعيد.

شكرا

إهداء

أولا وقبل كلّ شيء أشكر الله عزّ وجلّ الذي وفقنا وسدّد خطانا وأعطانا القوة والشجاعة لإتمام هذا العمل.

أهدي ثمرة جهدي إلى من وهبوني الحياة والأمل، والنشأة على شغف الإطلاع والمعرفة، ومن علموني أن ارتقي سلم الحياة بحكمة وصبرٍ، وبرٍّ وإحسانٍ ووفاء لهما: والدي العزيز "فرحات" ووالدتي العزيزة "سميرة".

إلى من أحبهم قلبي إخوتي "رزيقة وكنزة" وأخي "أحسن" حفظهم الله وأنار دربهم.

إلى كل خالاتي "سيهام، ذهبية، فتيحة، مونيرة، ثيزيري"، دون نسيان أولادهن حفظهم الله وأطال في أعمارهم.

كما لا يفوتني أن أخص إهدائي بذكر جدي الغالي أطال الله في عمره وإلى روح جدتي الغالية رحمها الله وأسكنها الفردوس الأعلى.

إلى أقرب النّاس لقلبي ومن فهمني دون كلمات وكان لي السند في كلّ وقت.

أهدي لك هذا العمل.

إلى زميلتي العزيزة "فيروز" رفيقة دربي في العمل أهدي لكي هذا البحث تعبيرا عن إمتناني لوقوفك بجانبي.

إلى كل من وسعتهم ذاكرتي ولم تسعهم مذكرتي أهدي لهم هذا العمل.

ليليا.ك

إهداء

الحمد لله حمدًا كثيرًا طيّبًا مباركًا فيه، على توفيقه لأصل إلى هذه اللّحظة التي طالما انتظرتها: سهرت، تعبت، اجتهدت لأصل عندها.

إلى من حملوني على أكتافهم، ودعموني بالحب والحنان والدي الغاليان، نبع الحنان إليكما هذا الجهد المتواضع، عرفانًا بفضلكما وامتنانًا ودعاءًا.

إلى من شاركوني طفولتي وصباي، إخوتي الأعزاء "حكيم، نبيلة ويوسف" وروح أخي الطيبة "عبد المالك" رحمه الله، أنتم نبض قلبي، أهديكم هذا البحث تقديرا لدعمكم وتشجيعكم، فأنتم سندي وفخري في الحياة.

إلى صغير العائلة ابن أختي الغالي "رسيم" أنت الأمل والمستقبل وضوء الأيام.

أهديك هذا العمل لتعلم أن النجاح يبدأ بحلم ثم يتحول إلى إنجاز عظيم.

إلى من شاركني الأفراح والأحزان.

أنت الرفيق في كلّ خطوة، أهديك هذا البحث تقديرًا لوجودك الدائم في حياتي.

إلى زميلتي العزيزة "ليليا" رفيقة دربي في العمل أهديك البحث تعبيرا عن إمتناني لوقوفك بجانبي دائما في هذا البحث.

إلى صديقتي الغالية "نسرين" سندي في الحياة ومرساتي في عواصف الأيام أهديك هذا البحث كهدية صداقتنا لأنك تستحقين كلّ الخير والسعادة وأنا فخورة بصداقتك التي لا تنتهي.

فيروز.أ

مقدمة

الرواية عالم غير محدود من المتخيل، ارتبط ظهورها بتعدد أنماط الحكي التي لا يختلف حولها اثنان من أن شعوب العالم عرفتها وتناقلتها وورثتها، ثمّ تفرّعت عنها الرواية. هذا العالم الجميل المكتمل فنيا في بناء لغتها وشخصياتها وأزمانها وأحيانها وأحداثها، وبهذا فهي من أهم الأنواع الأدبية صدارة في الدّراسة وانتشارا في العصر الحديث فضلاً عن أنّها من أهم الأنماط القصصية، إذ تشمل نوعًا من الإبداع الأدبي الذي يفرض نفسه على القارئ والنّاقد على حد سواء في إطار تقييم أو عرض الخطاب الأدبي المنجز باعتباره هيكلاً وبناءً فنيًا متناميًا.

تعد الرواية من بين الأجناس الأدبية التي برع أصحابها في تصوير أوضاع المجتمع ومحاكاتها، وقد تميزت في بدايتها بالتعبير عن أوضاع المجتمع وفق منظور الكاتب نفسه، حيث تجعل من الشخصيات داخلها تخدم إيديولوجية الكاتب متحكما في آرائهم وأفكارهم كما يريد أي أنّه لا صوت يعلو فوق صوت الكاتب.

إن كان الشعر هو ديوان العرب فالرواية تستطيع أن تحمل عبر صفحاتها وفصولها كل خصائص الحياة وسماتها، فهي قطعة من الحياة أو هي الحياة نفسها، ولكن صيغت بطريقة فنية تخضع لإعتبارات الفن الروائي وقواعده وتقنياته.

في الرواية قد نقابل شخصاً واحدًا وقد نقابل عشرات الأشخاص، كما نستمع إلى وجهة نظرتهم للحياة ونستمع إليهم في أنينهم وشكواهم، وتمحور الحياة في القرية، المدينة، الشوارع، كمأمن أصبحت لها جمالياتها في الفن والأدب.

هذا ما جعلنا نقف عند الرواية الاجتماعية التي تعتبر من أهم الأنواع الأدبية التي تركز على قضايا المجتمع وتحولاته، حيث تعكس تجارب الأفراد وتفاعلهم مع الظروف السياسية والاجتماعية المحاطة بهم.

ظهرت الرواية الاجتماعية في أواخر القرن التاسع عشر(19) وبداية القرن العشرين(20) متأثرة بالتغيرات السياسية والاجتماعية التي شهدتها المجتمعات، وعملت على مناقشة القضايا الاجتماعية كالتفاوت الطبقي، الفقر، التمييز من خلال شخصيات وأحداث تعكس واقع المجتمع الذي كتبت فيه، ومن بين أهم الأقلام الغربية والعربية التي خاضتا في كتابة الرواية الاجتماعية الأديب الروسي "فيودور دوستويفسكي" والأديب الجزائري "مولود فرعون"، حيث استطاعت أعمالهما تناول مواقع عدّة ومتنوّعة، كالفقر والتمييز والعنف والاستعمار، وتعد روايتي "الفقراء" "وابن الفقير" من أهم الرّوايات التي تطرقت لموضوع الفقر وما يعكسه من تحديات تواجه الأفراد والمجتمعات، فحاولنا فهم تصور كلّ أديب بظاهرة الفقر حسب المعطيات الاجتماعية والحقبة التاريخية لكلّ منهما، كما أردنا أن نقوم بدراسة موضوعية لآفة الفقر انطلاقا من تجربة الكاتبين. ومن أجل تسهيل عملية البحث إقتضى المنهجية التالية:

- ما هو المشترك الإنساني المتجلي في روايتي الفقراء وابن الفقير؟
- كيف تعكس الروايتان الإشكالية الإنسانية في مواجهة تحديات الفقراء؟
- ما هي مظاهر وأنواع الفقر وكيف يتحول هذا الأخير عدو حقيقي للإنسان؟
- كيف يمكن للكتابة أن تغير واقعًا اجتماعيًا؟

من الأسباب التي دفعتنا لإختيار هذا الموضوع هو ميلنا إلى الرواية الحديثة واهتمامنا بالقضايا الاجتماعية التي يشترك فيها الأفراد، وما استدرجنا أكثر هو محاولة اكتشاف الظاهرة المسيطرة والمشترك الإنساني بين القوميتين، وما هي الأسباب التي دفعت الروائيان في معالجة الظاهرة بطريقة أدبية وفنية وكيف أثر المجتمع في تشكيل الروايتان. وبذلك أردنا التعمق في العملين الأدبيين لفك بعض شفراتهما وفهم أعمق لدلالتهما.

نهدف من خلال هذه الدراسة إلى توضيح مطبات آفة الفقر التي تعيشها كلّ البلدان رغم اختلاف الديانات واللّغات والأزمنة والأمكنة، ويبقى الإنسان يدًا في توريط نفسه وللعيش فقيرًا، وما مدى تأثر الأديبين بظاهرة الفقر، مما جعل من الروايتان تعبيرًا عن مجتمعهما عامة وعن أنفسهما خاصة.

لعل ما نتوصل إليه كنتيجة من خلال هذا البحث يكون مفيدًا ومعززًا للدراسات المقارنة، نظرًا أنه من المواضيع الجديدة التي لم تحظ بدراسة أكاديمية سابقة.

للإلمام بهذا الموضوع اعتمدنا على منهج المقارنة والتحليل الوصفي والمنهج النفسي لإستكتشاف الدوافع النفسية للشخصيات ومعاناتها، والذي ساعدنا في فهم الصّراعات الداخلية للشخصيات، وتطرقنا إلى المنهج الاجتماعي لدراسة الظاهرة المشتركة في الروايتان حيث يركز المنهج على العلاقة بين الأدب والمجتمع. وطبيعة الموضوع تطلب تنوع المناهج لأنه من المستحيل تطبيق منهج واحد في دراسة النص الأدبي.

للإجابة على الإشكالية اعتمدنا على خطة بحث مكونة من مقدمة مدخل وفصلين وخاتمة، فالفصل الأول معنون "الفقر وتراجيديا الأمل في العيش"، حيث أشرنا إلى حياة الكاتبين وأهم أعمالهما، ثم ركزنا على ثلاثة محاور رئيسة فيظهر الفقر في المبحث الاول كفعل قدر، ليتداخل مع إرادة الإنسان، ليطرح تساؤلات حول مدى قدرة الفرد في تغيير مصيره. أما المبحث الثاني ظهر الفقر قاتلاً لفعل الذات الفردي والجمعي حيث يعيق الطموحات، ويؤثر سلبا على العلاقات الاجتماعية، وفي المبحث الثالث خصصناه لكيفية تحول الفقر كعدو للإنسان، إذ يؤدي إلى فقدان الهوية والانتماء. فتتناول الروايتان معاناة الفقراء وتأثير الفقر على الإنسانية المشتركة، ممّا يستدعي مواجهة هذه الظاهرة بشكل جذري وتضافر الجهود الفردية والجماعية لتحقيق العدالة الاجتماعية وإعادة الاعتبار للقيم الإنسانية المشتركة.

أما الفصل الثاني فوسمناه "بالكتابة الابداعية نضال من أجل إثبات الوعي الجمعي "فاستهلنا في مقدمته تحليل عنوان الروايتين، بحيث تناولنا فيه ثلاث محاور رئيسة تعكس جوانب الحياة الإجتماعية.

سلطنا الضوء في المبحث الأول على الرؤية المأساوية للحياة، حيث أبرزنا تأثير الظروف القاسية على النفس البشرية و كيف تخلق شعورًا بالعجز واليأس، أما المبحث الثاني فتناولنا فيه تداعيات السلوك الاجتماعي وتشريح المجتمع، ما يكشف عن العلاقات المتشابكة بين الأفراد وتأثيرها على النسيج الاجتماعي، أما المبحث الأخير تبرز الكتابة كوسيلة لانتقاء المجتمع، حيث تعكس تجارب الأفراد وتوجهاتهم، فمن خلال هذه المحاور يتضح أنّ فهم المأساة الإنسانية يتطلب دراسة عميقة للعوامل الاجتماعية والنفسية التي تشكل حياة الأفراد والمجتمعات.

أما الخاتمة خصصناها لتشمل أهم النتائج التي توصلنا من خلال دراسة الموضوع.

وقد اعتمدنا في بحثنا هذا المادة العلمية ومصادر أهمها:

- "لوسيان غولدمان" البنيوية التكوينية، وكتاب الإله الخفي. وكتاب سوسيولوجيا الأدب، "لروبيرت إسكاربيت.

ومما تجدر الإشارة إليه هي الصعوبات التي واجهتنا في البحث:

- ضيق الوقت لإتمام البحث.
- عدم توفر دراسات سابقة خاصة لرواية دوستويفسكي "الفقراء".

الحمد لله الذي وفقنا لإنجاز هذا البحث واتمامه، ومع تشكراتنا للأستاذة المحترمة "بن أحمد تسعديث" التي جادت علينا بنصائحها ومتابعة البحث حتى أستدب قوامه، كما نتقدم بجزيل الشكر إلى اللجنة الموقرة التي تكبدت عناء قراءة البحث وتصويبه، فلها منا كل الاحترام والتقدير.

مدخل

1-الإنسان

2-المجتمع

3-الفقر

4-المشترك الإنساني

1-مفهوم الإنسان:

1-1-لغة:

تعدّدت تعريفات لفظة الإنسان في المعاجم العربيّة من معجم لآخر. إلاّ أنّها تتفق في مجملها على معنى (المثل، الرقي، الأخلاق).

جاء تعريفها في معجم "لسان العرب" لابن منظور في باب: «"أَنَسَ": الإنسان معروف وقوله أقل بَنوُ الإنسان حيث عمدتم إلى من يثير وهي هجودٌ»[1].

كما جاء تعريفه في معجم الوسيط: "الإنسان": «الكائن الحي المفكر، والجمع: أناسيَّ أصله (أناسين) وإنسان العين ناظرها[2].

يتضح من التعريف اللّغوي أنّ لفظة "إنسان" لابن منظور يبرز الارتباط بين "الإنس والأنسُ". إذ يفهم من ذلك أنّ الإنسان يتميّز بالقدرة على التفاعل الاجتماعي والألفة، وهو ما يتميّز عن الكائنات الأخرى...

1-2-اصطلاحا:

يعتبر الإنسان سيّد المخلوقات لأنّه يتميّز عن الكائنات الحية الأخرى، وميزته العقل فيه يدرك الإنسان ما يدور حوله، وما هو موجود في الكون وفي معنى ذلك يرى "لودوينغ فيورباخ" "Ludwing Feuerbach": «أنّ تميّز الإنسان عن الحيوان يكون بالوعي، والوعي عنده يعني الإحساس، فالوعي هو الشعور بالذات والقدرة على التمييز بواسطة الحواس وعلى إدراك

---

[1]-محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري: **لسان العرب** (باب الهمزة) ط1، دار المعارف، بكورنيش النيل، القاهرة، ج.م.ع، ص 147.

[2]-مجمع اللغة العربية: **المعجم الوسيط**، ط4، مكتبة الشروق الدولية، مصر العربية، 2007، ص 29-30.

الموضوعات الخارجية، والحكم عليها من خلال بعض الدلالات المحسوسة»[1]، ومن هنا تظهر أهمية العقل في وجود الإنسان ككل وتميّزه عن الكائنات الأخرى.

يرى "فيورباخ" أنّ الإنسان يتأثّر بالعوامل الاجتماعية والثقافية التي ينشأ فيها وأنّ هويته وسلوكه تتشكلان نتيجة لتفاعله مع المجتمع والثقافة التي ينتمي إليها ومن خلال فلسفته يسعى إلى فهم دور الإنسان في العالم وعلاقته بالآخرين وبالبيئة التي يعيش فيها.

ان الإنسان متعدّد الخصوصيات يجمع بين الجوانب الجسدية والنفسية والاجتماعية والروحية، يركز على الحاجة الطبيعية للحب والانتماء ونظرية "فيورباخ" تركز على تحقيق الذات والتطور الروحي.

1-3-الإنسان المنظور الإسلامي:

يعتبر الإنسان من خلال المنظور الإسلامي مخلوقا خلقه الله بحكمة ورحمة، وأنعمه بنعمة العقل، ومنحه قدرات روحية، فالإنسان في الإسلام أشرف خلق الله لأنّه يحمل على عاتقه مسؤولية الخليفة في الأرض ومكلف بأداء الخير والعدل والمحافظة على جل النعم. كما يؤمن الإسلام بتفوق الرّوح على الجسد وضرورة تطوير الذات الروحية والأخلاقية لتحقيق السلام الداخلي والتّوازن في الحياة لقوله تعالى: ﴿**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ ۖ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا**﴾ (سورة الإسراء، الآية: 85).

يتّضح من قول الله أنّ العقل والرّوح سمتان تميّزان الإنسان عن سائر المخلوقات، حيث تجعله قادرًا على التفكير والإدراك والتأويل في الحقائق والحفاظ على المسؤولية المكلف بها.

[1]- أحمد عبد الحليم عطيه: **الإنسان في فلسفة فيورباخ**، بيروت، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، 2008، ص141.

نستنتج من خلال التعريف أنّ الإنسان هو المخلوق الناطق الميال إلى الاستقرار والهدوء، أمّا من خلال التعريف الاصطلاحي هو ذلك الكائن الاجتماعي وجوده يعتمد على علاقاته بالآخرين حيث يشكل هويته من خلال تفاعله مع المجتمع، أمّا الإسلام فقط أعطى مكانة خاصّة للإنسان إذ خُلِق في أحسن تقويم وأنعم عليه بنعمة العقل يفصل به بين الخير والشر.

2-تعريف المجتمع:

2-1-لغة:

جاءت كلمة المجتمع في قاموس المحيط من المادة جَمَعَ: وجُمَّعُ النَّاسِ، كُرْمَن، أَخْلاَطُهُم من قبائل شتى، ومن كلّ شيء، مجتمع أصله، وكلّ ما تَجَمَعَ وانضم بعضه إلى البعض، والمجتمع الأرض القفرِ[1].

لقد جاءت كلمة المجتمع في معجم المعاني الجامع. معجم عربي-عربي المجتمع موضع الاجتماع، جماعة من النّاس تربطها روابط ومصالح مشتركة وعادات وتقاليد وقوانين واحدة، أي هو فئة من النّاس تشكل مجموعة تعتمد على بعضها البعض[2].

فمن خلال التعريفين السابقين للفظة المجتمع نستنبط أنّها تمثل مجموعة من النّاس يعيشون سوية في شكل منظم وضمن جماعة. والمجتمعات أساس ترتكز عليه دراسة علوم الاجتماعيات.

---

[1]-مجد الدين محمد بن يعقوب آبادي: **القاموس المحيط**، أنس محمد السّامي وزكريا جابر أحمد، مجلد واحد، 2008، ص294.

[2]-المرجع نفسه، ص 295.

2-2-اصطلاحا:

يمكننا أن نعتمد على علوم الأنتروبولوجيا وعلم الاجتماع في تعريف المجتمع اصطلاحا حيث يتفق الاتجاهين على أنّه يتكون من مجموعة أفراد يتفاعلون مع بعضهم البعض وتتحكم فيهم قوانين. فعرفته الأنتروبولوجيا «على أنّه جماعة بشرية منظمة تتقاسم نفس الثقافة، العادات والتقاليد، القيم، نفس القوانين والضوابط»[1]، أما في علم الاجتماع عرّف على أنّه جماعة من الأفراد يعيشون في بلد واحد وينتمون إلى حضارة معينة[2].

يمكننا أن نفهم من خلال التعريفين السابقين ان المجتمعات تشكلت عبر الزمن وتكويناته وأنظمته وديناميكياته، فالتفاعل بين اثنين يساعدان على الفهم والتفسير الأعمق للتكوينات الاجتماعية والثقافية والسياسية المشكلة للمجتمعات.

3-تعريف الفقر:

3-1-لغة:

ورد في معجم لسان العرب في لفظة فَقَرَ-الفَقْرُ، والفقرُ ضد الغنيُّ مثل الضّعيف والضُعْفُ، اللّيثُ: والفُقْرُ لغةً رديئةٌ، ابن سيّدة: وقدْرُ ذلك أنْ يكون له ما يكفي عياله، ورجلٌ فقيرٌ من المال، وقد فَقُرَ، فهو فقيرٌ، والجمع فقراء، والأنثى فقيرة، من نسورة فقائر[3].

---

[1]-محاضرة السنة الثانية علم المكتبات في المجتمع والاقتصاد في الجزائر (1) PDF، نقلا من قاموس "La toupie" على الموقع: https://www.latoupie.org/dictionnaire/société

[2]-المرجع نفسه.

[3]-ابن المنظور: **لسان العرب**، ص 3444.

أما في معجم قاموس المحيط فجاءت لفظة الفقر، ويضم: ضدّ الغني، وقدره أن يكون له ما يكفي عياله، أو الفقير، من يجد القوت، والمسكين: من لا شيء له، أو الفقير: المحتاج والمسكين من أذله الفقر أو غيره من الأحوال[1].

يتبين من خلال التعريفين أنّ الفقر في جوهره يعبّر عن نقص المواد أو الاحتياجات الأساسية للإنسان، ويشمل ذلك الطعام، المأوى، الملبس، وغيرها من الضروريات التي تمكن الشخص من العيش بكرامة.

3-2-اصطلاحا:

نعتبر الفقر سببا ودافعا لعدد من الثورات خاصّة الاجتماعية والتغيرات الكبرى وعلى أنه مصدر إلهام للفكر الإنساني، والفلاسفة والمصلحين الاجتماعيين فيحدّده "ساول النسكي"، أنّ الفقر هو افتقار إلى القوّة والمتعة، أي افتقار الفقراء لقوة جماعية تمكّنهم من ممارسة التأثير والسّيطرة على ظروفهم وتحقيق مستويات معيشية عبر العمل الذاتي[2]. انطلاقا من القول نفهم أن الفقر له تأثير على الأفراد والمجتمعات، وذلك من خلال نقص القوّة الجماعية التي تمكّن الأفراد من التأثير على ظروفهم المعيشية واتخاذ قرارات فعالة لتحسين حياتهم، وذلك من خلال التمكين الذاتي، فغياب الموارد والأدوات التي تمكن الإنسان من تحقيق مستوى معيشي لائق من خلال العمل الذّاتي والمبادرة الجماعية، تعرقل الوصول إلى الرفاهية، ممّا يؤثّر ذلك على الجوانب النّفسية للإنسان مثل الشّعور بالعزلة، التّهميش، الحرمان، العوز، الشّعور بالنقصان واليأس...

---

[1]-مجد الدين محمد بن يعقوب آبادي: **القاموس المحيط**.

[2]-علي عبد راغب: **مشكلات اجتماعية معاصرة (نماذج مختارة من مجتمعات عربية معاصرة)**، ط2، مجموعة دلتا للنشر والتوزيع، الكويت، 1994، ص 183.

أمّا في ضوء الشّريعة الدولية في حقوق الإنسان، يمكن تعريف الفقر بأنّه: «وضع إنساني قوامه الحرمان المستمر أو المزمن من الموارد، والإمكانيات، والخيارات والأمن والقدرة على التمتّع بمستوى معيشي لائق، فضلا عن الحرمان من الحقوق المدنية والثقافية والاقتصادية والسّياسية والاجتماعية[1]. يظهر أنّ الفقر ناتج عن الظروف المعيشية غير المتوازنة، ممّا يؤدي ذلك إلى الارتباك وانعدام التّوازن في طريقة العيش، فيمكن حصر مفهوم الفقر على أنّه محاولة وصف ظاهرة اجتماعية واقتصادية بالغة التعقيد والتّشابك، كما أنّه مفهوم يختلف باختلاف المجتمعات والفترات الزّمنية والإيديولوجيات والخلقيات الأخلاقية.

4-مفهوم المشترك الإنساني:

يمكن مراجعة مفهوم المشترك الإنساني باعتبار أولى مفرداته: حيث يمكن النظر المفهومي للاشتراك والإنسان.

4-1-لغة:

من مادة شَرك الشين والرّاء والكاف أصلان، أحدهما يدلّ على مقارنة وخلاف انفراد والآخر يدل على امتداد واستقامة.

فالأوّل الشركة، وهو أن يكون الشيء بين اثنين لا ينفرد به أحدهما، ويقال شاركت فلانًا في الشيء، إذ صرت شريكه[2].

[1]-اللجنة المعنية بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، جامعة مينسوتا، مكتبة حقوق الإنسان، الدورة الخامسة والعشرين، 2001، على الموقع: http://www.hrlibrary.umm.edu، أطلع عليه يوم 17 ماي 2024، على الساعة 12:00 زوالا.

[2]-وائل الحارثي: "التأسيس المقاصدي للمشترك الإنساني"، **مجلة المعيار**، **عدد62**، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، سنة 2021، ص 244.

نستنبط من خلال التعريف أنّ لفظة "اشتراك"، يمكن أن تستخدم في سياقات متعدّدة مثل: العمل التجاري أو التعاون في مشروع أو الاشتراك في الأفكار أو المعتقدات يتبين لنا في الأخير أنّ الكلمة ذات مرونة وقدرة على التكيف مع السياقات المتنوعة.

وذكر ابن منظور في لسان العرب أنّ الشَّرْكَةُ والشّرِكَةُ سواءًا، مخالطة الشركين يقال: اشتركنا بمعنى تشاركنا وقد اشترك الرجلان وتشاركا وشارك أحدهما الآخر[1]. يحيلنا تعريف ابن منظور للفظة "اشترك" ذات الجذور شَـ.رَ.ك إلى تأسيس معنى الشراكة والتعاون والتداخل بين الأطراف المختلفة وهذا يشير إلى أنّ الإشتراك يتعلّق بموجود عناصر مشتركة بين عدّة أطراف المساهمة في إنجاز المهامات لغاية ما، وتعزيز التكامل والثقة بين الأفراد.

وبالتالي من خلال التعريفين نستنتج أن كلمة "اشترك" تحمل الدلالات العميقة والتي تتعمق بشتى أنواع المعاملات والتعاون والتفاعل الاجتماعي بين الأفراد والمجتمعات.

4-2-اصطلاحا:

في التركيب الاصطلاحي لمفهوم الاشتراك هو وصف لنوع العلاقات وطبيعة وظيفتها ويقصد بالجوانب الأساسية والقيم المشتركة التي تربط البشر سويًا بغض النظر عن اختلافاتهم في الثقافة والدّين والعرق مثل الحقوق، العدالة، الكرامة، التعاون، إلخ[2].

فالمفهوم الاصطلاحي للفظة "اشترك" ينقلنا إلى فهم أعمق للكيفية التي تتفاعل بها المجتمعات الإنسانية، ويمكننا الاستنتاج ان القواسم المشتركة بين الأطراف المختلفة في السياق الإنساني تعكس المبادئ التي توحد البشر بغض النظر عن الاختلافات الثقافية واللّغوية والزمنية والمكانية، ويليها التعاون والتكامل والاعتماد المتبادل بين الأفراد في مجتمع إنساني،

[1]-ابن المنظور: **لسان العرب**، (مادة انس)، ص 2248.

[2]-وائل الحارثي: "**التأسيس المقاصدي للمشترك الإنساني**"، ص 245.

وهذا يعكس كيف يعتمد البشر على بعضهم البعض لبناء مجتمعات مستدامة ومتوازنة في الصالح العام.

وكمفهوم مركب «هو مجموع الأفكار، التصورات، المبادئ، المفاهيم والسلوكيات التي يتفق أو يتوافق ويتوطأ الناس كلّهم أو جلّهم إلا ما شذَّ، على قول بها فطرة وعقلاً واجتماعًا وما يترتب عليها من حقوق وواجبات»[1].

توصلنا أنّ المشترك الإنساني يشير إلى مجموعة القيم والمبادئ والأفكار والتجارب الإنسانية التي تتقاسمها جميع الثقافات عبر التاريخ والجغرافيا، حيث يعبر عن قواسم مشتركة في التجربة الإنسانية التي تبرز على الرّغم من التنوع الكبير في العادات والثقافات واللّغات.

[1]–المرجع السابق، ص 246.

الفصل الأول:

الفقر وتراجيديا الأمل في العيش

1-الأديب صورة مصغّرة من المجتمع.

2-الفقر بين فعل القدر وفعل الإنسان.

3-الفقر قتل لفعل الذّات الفردي والجمعي.

4-الفقر عدو الإنسان.

تمهيد:

تعد التراجيديا والمعاناة من الموضوعات التي لها أهمية كبيرة في دراسة الادب وسلوكيات الفرد حيث تساعد على فهم البعد الإنساني والنفسي للشخصيات وكذا المجتمعات، وقد كان للرواية مسعى في هذا التوجه، حيث حملت الروايات التراجيدية معاناة الشخصيات وألقت النور على جوانب مظلمة من الطبيعة البشرية وعلاقتنا بالعالم الخارجي حيث«تنشأ المعاناة نتيجة هوة بين ما يكونه المرء أو ما يملكه أو بين ما يريد أن يكون وما يريد أن يملكه فالإنسان الفقير إن يرغب في الثروة التي يفتقر اليها يعاني والإنسان الذي يرغب في الخلود على الرغم من أنّه يعلم أنّ الموت حتميا يعاني من هذه الحقيقة»[1]، فالمعاناة مرتبطة أكثر بالفقدان أو الضغوطات النفسية والاجتماعية وغيرها ومرتبطة بالشعور بالألم والخوف وغيرها من المشاعر السلبية.

نجد في الكثير من الأعمال الأدبية تجليات واضحة وكثيرة للمعاناة والتراجيديا، حيث يعكس الكتاب في كثير من الأعمال تجاربهم الشخصية، ومواقف الألم والمعاناة التي صادفتهم في حياتهم، حيث يحتضن أغلب الأعمال الروائية قصص المعاناة والكفاح والصراع والمواضيع الإنسانية مثل الحروب والنضالات الاجتماعية ودراسة تجليات المعاناة في الأعمال الرواية لها أهمية كبيرة في نقل جزء كبير من تجربة الإنسان، اذ تتيح للقارئ فهما أعمق للحياة والإنسانية، وكذا تسليط الضوء على مختلف الصراعات الداخلية، ومنه تعتبر التراجيديا والمعاناة واقع لا يمكن نكرانه في حياة الإنسان.

[1]–نهى عبد العزيز محمود يوسف: **مفهوم الألم في الفكر الفلسفي الأخلاقي، دراسة تحليلية من خلال نماذج ممثلة**، كلية الآداب، قسم الفلسفة، المؤتمر النسوي الدولي الرابع لقسم الفلسفة، كيف تقرأ الفلسفة رؤى إبداعية في هيرمنيوطيق الزمن، مج2، ع2، 2016، ص 1905.

1-الأديب صورة مصغّرة من المجتمع :

1-1-فيودور دوستويفسكي:

ولد "فيودور دوستويفسكي" في الحادي عشر من شهر نوفمبر، وذلك في عام 1821م بمدينة موسكو بروسيا، ونشأ في أسرة من الطبقة المتوسّطة، وهو الابن الثاني لأبويه، فأبوه هو "ميخائيل دوستويفسكي" وهو من عائلة نبيلة متعدّدة الأعراق والمذاهب الدّينية وكان أفرادها يعملون كرجال دين، ولكنّ ميخائيل فرّ بعيدًا والتحق بأكاديمية موسكو الطبية الجراحية وعمل كطبيب، أمّا والدته فهي "ماريا نيشاييفا" وكانت عائلتها تعمل بالتجارة.

نشأ "دوستويفسكي" في أسرة محبّة للعلم والأدب، حيث كان لوالديه أثر كبير في تعلّقه بالأدب، وذلك من خلال حكايات وقصص قبل النّوم التي كانا يقصّونها عليه باستمرار، أمثال "بوشكين وشيلر وكرامزينو والترسكوت وغيرهم".

وهو في سنّ الرّابعة من عمره قامت أمّه بتعليمه القراءة والكتابة وذلك من خلال تدريسه للكتاب المقدّس، كما اعتادت أمّه على رواية العديد من الأساطير والقصص له حتّى توفيّت بداء السلّ وذلك عام 1837م، وكان "دوستويفسكي" يبلغ من العمر خمسة عشر عمًا في ذلك الوقت[1].

في الثّاني عشر من شهر أغسطس لعام 1843م، عمل "دوستويفسكي" كمهندس برتبة ملازم، وفي نفس العام أنهى أول أعماله الأدبية والتي كانت ترجمة لرواية فرنسيّة شهيرة. ليقوم

[1]-موسوعة أخصر للكتب-رواية الفقراء-دوستويفسكي، a5dr.com/wiki، اطلع عليه يوم 2024/05/20، على الساعة 12:49 (بتصرف).

بعدها بنشر عدد من الترجمات التي لم تحقّق أيّ نجاح، ليمرّ بعد ذلك بصعوبات وأزمات مالية جعلته يجعل من كتابة الرّوايات مهنة له.

في مايو عام 1946م نشر "دوستويفسكي" روايته الشّهيرة الأولى والتي تسمى "المساكين" أو "الفقراء"، وقد حقّقت هذه الرّواية نجاحًا كبيرًا جدًّا وانتشارًا تجاريًا واسعًا، حيث وصف النّاقد الرّوسي الشّهير "فيساريون بيلنسكي"، تلك الرّواية بأنّها الرّواية الاجتماعية الروسية الأولى.

أدرك "دوستويفسكي" مدى حبّه للكتابة والأدب، فلم يرد أن تمنعه وظيفته كمهندس من الإنتاج الأدبي فقرّر ترك وظيفته العسكرية، حتى يستطيع التفرغ التام للأدب ليقوم بإصدار روايته الثّانية، وهي رواية الشبيه ولكنّها لم تحقّق النّجاح المأمول، ولاقت نقدًا سلبيًا كبيرًا، فأثّر ذلك على حالته الصحيّة وازدادت نوبات الصّراع لديه.

استمر "دوستويفسكي" في مسيرته الكتابيّة خلال فترتي من عام 1846م إلى عام 1848م، فقد أصدر عدد كبير من القصص القصيرة وذلك طريق مجلة تاريخ الوطن، ولكنّ لم تحقّق النّجاح المطلوب، ممّا أثّر ذلك على أحوال "دوستويفسكي" المالية[1].

في عام 1833م أرسل "ميخائيل دوستويفسكي" إبنه "فيودور" إلى مدرسة داخلية في فرنسا، ثمّ ألحقه بمدرسة "شيرماك" الدّاخلية والتي اضطرت "ميخائيل" إلى الاقتراض لدفع رسومها، وفي هذه المدرسة عانى "فيودور" ولم يستطع التأقلم والتّناغم مع الارستقراطيين هناك، وقد عبّر في كتابته عن هذه الفترة من حياته والتي انعكست بدورها على بعض اعماله الأدبيّة وبخاصّة في رواية المراهق.

[1]–موسوعة أخصر للكتب–رواية الفقراء–دوستويفسكي، a5dr.com/wiki، اطلع عليه يوم 2024/05/20، على الساعة12:49 (بتصرف).

وبعد وفاة أمه في السابع والعشرين من شهر سبتمبر لعام 1837م، أرسله والده في مايو من العام نفسه مع أخيه الأكبر "ميخائيل" للدراسة بمعهد نيكولايف للهندسة العسكرية، ليتمّ قبول "فيودور" في المعهد وذلك في يناير عام 1838م، بينما لم يتم قبول أخيه لأسباب صحيّة.

في السادس عشر من شهر يونيو عام 1839م، توفى والده "ميخائيل" ليؤثر ذلك على ابنه بصورة كبيرة، حيث ظهرت علامات الصّراع على "فيودور" منذ وفاة "ميخائيل"، ليستكمل "فيودور دوستويفسكي" دراسته في معهد نيكولايف للهندسة العسكرية، وكان لا يحب الدّراسة به لعدم اهتمامه بالرياضيات والهندسة العسكرية، ليتخرّج بعد ذلك بلقب مهندس عسكري، ليقرّر الاستقرار بعيدًا عن هذه الأكاديمية، ليذهب لزيارة أخيه ويستقرّ بالقرب منه.

في عام 1849م تمّ اتّهام "دوستويفسكي" بقراءة الكتب الممنوعة والقيام بالأعمال المحظورة ومعاداة السياسة الرّوسية، وحثّ الشّعب على ذلك، وقد تمّ إجراء التّحقيقات لمدّة أربعة أشهر، ليصدر الحكم في حقّ "دوستويفسكي، وذلك لمدّة أربعة أعوام.

بعد المعاناة التي قضاها "دوستويفسكي" في السّجن، في عام 1859م، خرج من السّجن وذلك بسبب سوء أحواله الصحّية، وقد تفاقم مرضه شيئًا فشيئًا وتدهورت حالته الصحيّة، وكثرت نوبات الصّراع عليه ليمرّ بعد ذلك بنزيف رئوي حاد عدّة مرّات حتّى توفي في التاسع من شهر فبراير لعام 1881م، لتغرب شمس هذا الأديب والفيلسوف العلمي الكبير "فيودور دوستويفسكي" عن العالم.

-أشهر أعماله:

- المساكين سنة 1846م.
- حلم العلم سنة 1859م.

- مذلولون مهانون سنة 1861م.
- الجريمة والعقاب سنة 1866م.
- الأبله سنة 1869م.
- مراهق سنة 1875م.
- الإخوة كارا مازوف سنة 1880م.

1-2-مولود فرعون:

يعد "مولود فرعون" من أبرز صناع الأدب الجزائري الحديث، ولد في 08 مارس 1913م، قبل اندلاع الحرب العالمية الأولى، بقرية تقع في أعالي جبال القبائل الكبرى[1].

وفي سنة 1920م، عندما كان في السّابعة من عمره التحق بمدرسة "تيزي هيبل"، وتحصّل سنة 1928م على منحة دراسية بالمدرسة الإبتدائية العليا بـ"تيزي وزو".

بعد أن تحصل على شهادة الباكالوريا التحق بمدرسة المعلّمين ببوزريعة بالعاصمة، وتخرّج منها سنة 1935م ليعود مباشرة إلى مسقط رأسه واختار أن يدرس في نفس المدرسة التي تلقى فيها تعليمه الابتدائي "بتيز هيبل"[2]. وبعدها أخذ يتدرّج بمناصب التّعليم من مدرسة إلى مدير مدرسة سنة 1957م، ثمّ مفتّشًا لمراكز اجتماعية سنة 1960م، ثمّ استمرّ في ممارسة

---

[1]-يوسف نسيب: **ملولود فرعون، حياته وأعماله**، تر: حنفي بن عيسى، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائري، دط، رقم النشر: 08-01-1982، ص 05.

[2]-زهرة ديك، **من روائه الأدب الجزائري، (مقتطفات من نصوص أبرز الأدباء الجزائريين)**، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، دط، ص 223.

مهنته النبيلة، إلاّ أنّ سقط شهيدًا مبادئه وحبه لوطنه...رحل، وترك كلمته الخالدة «أكتب وأتكلّم بالفرنسية لأقول للفرنسيين أني لست فرنسيًا»[1].

لقد كانت للكتابة عند "مولود فرعون" خاصية مميّزة، وهدف معيّن، يريد الوصول إليه، على غرار الكتّاب الطامحين للشهرة والتميّز للوجاهة الثّقافية، فكان «يكتب ألمه ويحكي جرحه مسخرًا قلمه ليشهد على معاناة شعب، ويسجّل وقائع وأحداث اجتماعية وتاريخية لابدّ من تبليغها للأجيال بحرارتها وصدقيتها وشحنها العاطفية»[2]

كان "مولود فرعون" مقاومًا ثقافيًا عنيدًا يعبّر عن تمسّكه بالشّعب الجزائري وقيمه ومقاومته. فهو كان يعاني من المأساة الاستعمارية، حيث وصف الفترة الاستعمارية بقرن الاستعمار الأناني، وأكّد أنّ فرنسا لم تترك للجزائريين خيارًا آخرًا سوى اللّجوء للعنف، فتحدّث في يومياته عن مجموعة من الأحداث «اضطراب 1957م، وحالة المنتخبين البلديين الذين هددتهم الجبهة بالقتل فاستقلوا...، ووقع على بيان يطالب الجنرال "ديغول" بوقف إعدام 150 جزائريًا، ولكنّه كان يعتبر الثورة ضربًا من العبث»[3]. كان يندّد بالظّلم وكلّ الإهانات التي كانت تسلّط على الجزائريين من طرف السّلطات الاستعمارية، لكنّه احتفظ بإنسانيّ حيث كان يريد الاستقلال، وفي نفس الوقت أن يحاول الجزائريين والفرنسيين التّفاهم فيما بينهم.

سخّر الأديب مؤلفاته لفضح جرائم الاستعمار الفرنسيّ، وحرص على رصد تفاصيل المجتمع الجزائري، مصوّرًا فئاته وأفراده على اختلاف ألوانهم ومعتقداتهم، مركزًا على مجتمعه

[1]–زهرة ديك، **من روائه الأدب الجزائري، (مقتطفات من نصوص أبرز الأدباء الجزائريين)**، ص 223.

[2]– المرجع نفسه، ص 224.

[3]–أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، دار البصائر، 2007، 1954–1962، ج10، ص 181.

الصّغير القبائلي وتقاليده، مبديًا موقفه من كلّ ما يحدث من حوله. ولقد عرفت رواياته رواجًا كبيرًا في البلدان الفرونكوفونية والعربيّة والتي تجرمت إلى عدّة لغات ومن مؤلفاته نجد:

1) نجل الفقير سنة 1950م.
2) الأرض والدّم سنة 1953م.
3) أيام قبائلية سنة 1954م.
4) الدّروب الوعرة سنة 1957م.
5) حي الورود سنة 1958م.
6) رسائل إلى الأصدقاء سنة 1969م.
7) الذكرى سنة 1972.

وقد اشتهر "مولود فرعون" بروايته الأولى "ابن الفقير"، حيث إنّها تعدّ من أهمّ أعماله الأدبيّة، ولا يزال اهتمام النقّاد بها متواصلا، بحيث تعتبر سيرة ذاتية تصف طفولته ومراهقته، وقد ترجمت لعدّة لغات منها: الألمانية والرّوسية والبولونية والعربيّة.

ومن أقواله: «نحن جبائليون...جبائليون خشان، هكذا يقول ابن الفلاح الفقير»[1].

ترك موت الكاتب أثرًا فاجعًا في قلوب كلّ النّاس من ذوي الإرادة الطيّبة، حيث سقط برصاص العدوّ والحقد الاستعماري، في 15 مارس 1962م، على يدّ المنظّمة الحربية السريّة (AOS)، وهكذا انتهت الحرب بشكل مأساوي بالنّسبة "لمولود فرعون"، قبل توقيع اتّفاقيات

[1]–يوسف نسيب: **ملولود فرعون، حياته وأعماله**، ص 11.

"إيفان" بثلاثة أيام، وتشييع جثمانه في الثّامن عشر من شهر مارس وهو اليوم الذي اعترفت فيه فرنسا رسميًا بحريّة الجزائر[1].

2-الفقر بين فعل القدر وفعل الإنسان:

الفقر ظاهرة معقدة لا يمكن إرجاعها لسبب واحد، فهناك عوامل متعدّدة تتداخل في تشكيله بما في ذلك القدر والاختيار الإنساني.

فالإيمان بالقضاء والقدر ركن من أركان الإيمان في الديانات السماوية، فالغني والفقير وتوزيع الأرزاق بين النّاس حكمة بيد الله جلّ وتعالى لقوله: ﴿**إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ(49)** ﴾ (سورة القمر، الآية 49). ولقوله تعالى: ﴿**مَّا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ ۖ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ ۚ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا(38)** ﴾ (سورة الأحزاب، الآية 38).

فيتجلى من خلال الآيتين: أنّ كثيرا من النّاس يولدون فقراء، ويمكن إرجاع سبب الفقر إلى الحروب، والكوارث الطبيعية، سوء الأنظمة السياسية، الاقتصادية، ونقص الفرص التعليمية، إلاّ أنّ هذا لا يعني ان حالة الانسان تبقى بالوضعية ذاتها، بل قد منحه الله إرادة حرّة لاختيار أفعاله واغتنام الفرص لكونه كائن حي ذو ميزة عقلية، وعلم الله المسبق بهذه الأفعال لا تنفي أيّ إرادة وأيّ حريّة متعلقة بالاختيار وحسن الظنّ.

تحمل رواية الفقراء "لفيودوردوستوفسكي" "Fiodor Dostoïevski" وابن الفقير"لمولود فرعون" تحملان في طياتهما موضوع الفقر ويتم استكشافه من خلال تفاعل عوامل ذاتية (الخيارات الشخصية والسلوكيات) والقدرية (الظروف والمصير)، ويعبر هذا الاستكشاف عن

[1] -المرجع السابق، ص 105.

فهم مركب للفقر كحالة تنتج عن مجموعة عوامل تكون بعضها خارجة عن سيطرة الأفراد وبعضها الآخر تتعلق بأفعالهم وقراراتهم.

أولاً تظهر الروايتان كيف أن الفقر فعلاً مقدرًا من الله، حيث تعكس الشخصيات معاناة عميقة بسبب الظروف الاجتماعية والاقتصادية التي لا يمكن التحكم فيها فتعيش معظم شخصيات الروايتين في محيط قاس، حيث الفقر واقع يومي لا مفر منه.

يقول بطل رواية الفقراء "ماكار": «أنا لست سليل كونت! أبي لم يكن ينتمي إلى طبقات النبلاء كما أنّه لم يكن يكسب، رغم الأعباء العائلية التي ظلّ يرزق تحتها»[1].

في قول آخر يتعلق بشخصية "فورولو" وهي شخصية رئيسية في رواية "ابن الفقير" في قوله: «كان والدي وعمي من فقراء حيّنا»[2].

يشير المقطعان أنّ الفقر صفة وراثية على الرغم من اختلاف المجتمعين (مجتمع روسي، مجتمع جزائري قبائلي)، فالأول يشير إلى أنّ الأب وجد نفسه في ظروف صعبة. ليتنقل بعد ذلك الفقر إلى الابن الذي وجد نفسه في المعضلة ذاتها، فاستعان الراوي بلفظة "كونت"، وهي أحد الألقاب التي يشار بها للنبلاء في الدول الأوروبية آنذاك، ليبرز لنا أنّ وضعيتي الغني والفقير من الأمور التي لا يمكن التحكم فيها ومدى صعوبة اختيار بعض الأقدار التي لا يمكن الفرار منها أو تغييرها، بحيث يمكن للإنسان أن يولد في عائلة غنية، بينما يولد إنسان آخر عائلة فقيرة.

[1]–فيودور دوستويفسكي: **الفقراء**، تر: أحمد اللويزي، ط1، المركز الثقافي العربي، دار البيضاء، المغرب، 2015، ص 20.
[2]–مولود فرعون، **ابن الفقير**، دار ثلانتقيث، تر: عبد الرزاق عبيد، بجاية 2016، ص 66.

أكّد القول الثاني أيضا فكرتي القدر والوراثة اللّتان تساهمان في جعل البشر فقراء، وكيفية انتقال الظاهرة من جيل إلى آخر بسبب غياب الشروط التي تساعد في التغلب على الصعاب لتحسين ظروف العيش. ويمكننا تأويل القول على أنّه حالة عامة تتسم بهاّ معظم العائلات في المجتمع القبائلي وتعيش نفس الظروف القاسية والمزرية، قدم البطل لنا مثالاً حياً عندما ذكر قضية الفقر التي يتشاركها الاب والعم. والواقع المأساوي وحياة الفقر تفرضها الأقدار على الإنسان وتضعه في حيز يمنعه من الحركة والتغير وتجبره على البقاء في كينونته الفقيرة، يسعى منذ الصغر لتغيير الوضع لكن دون جدوى.

يؤكد هذه الفكرة مقطع سردي في رواية الفقراء: «إنّ الله عزّ وجلّ هو الذّي يحدّد أقدار النّاس ومصائرهم المختلفة، يا أميمتي هذا قدره أن يحمل رتبة جنرال، وذلك مكتوب عليه أن يخدم الدّولة خدمة وضيعة، تلك هي إرادة الله في خلقه ومشيئته العليا التي ما علينا نحن البشر سوى الإيمان بها بخضوع وصمت»[1]، وفي حديث لشخصية "فورولو" عن كيفية توزيع المؤونة في العائلات: «مؤكد أنّ هذا العمل يتطلب قدرات فائقة لكوننا نعلم أن القبائل لا يتمرغون في الحرير، وباعتبارنا يكلف دائما الأكبر سنًا أو الأرفع مقاما في العائلة، فإننا غالبا ما نكون مطمئنين على مصير الآخرين»[2].

يعمل القدر على تحريك الوضعيات الحياتية داخل المجتمع و الانسان له خيار في توزيع الفرص، فهي محدودة وغير متاحة للجميع والدعم لا أساس له في المجتمع، فالفقر قدر محتوم بنسبة للعديد من الشخصيات فحالة الفقر مقدر على الكثير إلاّ أنّه تم ربطه بالاطمئنان

[1]–فيودور دوستويفسكي: **الفقراء**، ص 111.

[2]–مولود فرعون: **ابن الفقير**، ص 26.

والسيطرة على مصير الآخرين كون الفقراء الأكبر سنا والأرفع مقاما هم الأولى بتحمل المسؤوليات، ممّا يوحي بأنّ الفقر قد يكون جزءًا من قدرهم، إلاّ أنّ ذلك لا يعيقه على توجيه الأصغر سنا الفقراء ومقاما معيشي على العائلات والإشارة بأنّه من الأشياء التي لا تختار في توزيع الفرص.

أمّا من ناحية الفقر ً نتاجًا لفعل خيارات الإنسان وأفعاله فشخصية "ماكار" قد تسبب في إزدراء وضعه حيث كان يسرف وينفق ماله في حاجات غير أساسية، فالشخصيات في الرواية غالبا ما تكون محدودة الخيارات بسبب الظروف الاقتصادية، ومع ذلك تتخذ قرارات تؤثر على وضعه المعيشي،وهذا ما ذهب إليه رينيه ديكارت في حديثه عن النفس البشرية حيث نسبها إلى الأفكار والإرادات فيقول:«لا يبقى فينا مما يجب أن ننسبه إلى النفس سوى أفكارنا،وهذه بشكل أساسي على نوعين،أي أن بعضها هي أفعال النفس وبعضها الآخر هي انفعالاتها إنما ما أسميه أفعالها هو كل إراداتنا[1]»يتناول القول طبيعة النفس وأفكارها فيعتقد أنّ الأفعال هي ما يميز النفس بينما الانفعالات تعكس استجابات النفس للمؤثرات الخارجية، فهو يربط بين الفكر والعاطفة التي تشكل تجربة إنسانية كاملة. "فمكار" يعمل في سلم وظيفي بسيط "ناسخ" لكنّه يستثمر الكثير من موارده المالية لدعم "فارفارا"، فالإدارة المالية مثل الإنفاق الزائد وعدم الإدخار أسهم في وقوعه في الحضيض، ممّا دفعه في الأخير للجوء للاقتراض وتتفاقم ديونه ويتجلى لنا من خلال إجابة "فارينكا" على إحدى رسائل "ماكار": «عزيز الطيب "ماكار أليكيسفنش"، قد عزّ عليا قبول هدايا منك. أنا على علم تام بما تكلفك تلك الهدايا وبما تفرضه على نفسك من تضحيات كبيرة حتى تهدينها وبما تحرم به نفسك حين تكفها عن حاجياتها

[1]–رينيه ديكارت: **الإنفعالات النفسية**، تر: جورج زيناتي، ط1، دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت–لبنان 1413هـ–1993، ص27.

الضرورية، فكم مرّة قلت لك أنني لا أحتاج إلى شيء»[1]، وفي قول آخر "لماكار" يؤيّد فكرة إسرافه: «لقد أبلغتني تيريز بأنك في حاجة إلى بعض الخيوط الحريرية الملونة، لكي تطرزي وأنا سأشتري لكي ذلك يا أميمتي»[2]،ويستنتج من خلال فعل تقديم الهدايا والمساعدة في اقتناء الأشياء من الأمور الجيّدة، إلاّ أنّ الأوضاع والظروف لا تسمح له في دفع أمواله في مثل هذه الأشياء التي قد تدفع بنفسه إلى الكساد المالي فنقول أنّ شخصية "ماكار" ساهمت في تدهور أوضاعه المادية و دفع بنفسه إلى حد الاعتقاد أنّه بوضع يسمح له الإنفاق والتبذير، فتوجه له "فارفارا" كلاما في إحدى رسائلها محاولة إقناعه على إدخار المال: «يا صديقي؟ لا أعلم من أين يأتيك هذا المال الوفير (...) أتوسل إليك يا صديقي بأن توفر هذا المال وأن لا تبذره في مثل هذا الإنفاق»[3].

أمّا رواية "ابن الفقير" وأحداثها الجاسمة وتبرز مدى إشتراك الإنسان في تفقير نفسه فقال "فورولو" عن جنازة جدته: «توفيت فجأة (...) دفنها والديها كيفما استطاعا بات ينشدوها ثلاثون خونيا هرما، أناشيد دينية إلى غاية الصباح وذبح كبش ووزع الكسكسي على جميع فقراء القرية ورافقاها إلى مثواها الأخير إثنى عشر مرابطًا جميع أنواع البنخ (التبجج) كانت موجودة[4].

ليتبين من خلال الشواهد أنّ إنفاق الأفراد أكثر ممّا يملكون يؤدّي إلى استنزاف مواردهم المالية ويكوّن نمط حياة مبذر ممّا يؤدي إلى نفاذ المال وعدم القدرة على تلبية الاحتياجات الأساسية لاحقا.

---

[1]–فيودور دوستويفسكي: **الفقراء**، ص 14–15.

[2]–المصدر نفسه، ص 84.

[3]–المصدر نفسه، ص 96.

[4]–(ينظر) مولود فرعون: **ابن الفقير**، ص 61.

في حين تعمل عوامل أخرى على مواصلة الحصار الذي يفرضه الفقر على الأفراد. فحملت رواية الفقراء في إحدى زواياها مشكلة الديون والقروض التي لجأ إليها "ماكار" لتحسين وضعه بعدما بات مفلسا تماما إذ يقول: «رغم أنكي نصحتيني بعدم افتراض، إنّه من مستحيل يا ملاكي أن أستغني عن ذلك إذ أحوالي سيئة»[1].

وقع ماكار في كارثة مالية اسقطته في هاوية الفقر وهو متعود على الانفاق والتبذير فما كان عليه الا ان يتوجه الى طريقة القرض.

أشارت رواية "الفقراء" بطريقة غير مباشرة إلى الإدمان، وهو من أفعال إنسانية التي تساهم في تدهور الأوضاع الشخصيات وتزيد معاناتها.

تجلى لنا على نوعين، فالأول إدمان على الكحول فتعاني شخصية "بوكروفسكي" من إدمان الكحول بسبب تدهور صحته النفسية وهذا ما ساهم في تفاقم الفقر، فهو ينفق ما لديه على هذه السموم بدلا من تلبية احتياجاته الأساسية، ويتبين لنا هذا من خلال مذكرة "فارفارا" التي تقول فيها: «كان بوكروفسكي العجوز، بينما هو يعيش حياته الزوجية في شقاء كبير يبحث عن العزاء والسلوان في أحط الرذائل وأخسها فظلّ يجنح تقريبا إلى السكر الدائم»[2].

أما ثانيا أظهر "دوستوفسكي" الإدمان على المقامرة وتأثيرها على الشخصيات، بحيث يؤدي إلى خسارة الأموال وهي أحد قوانين اللّعبة وهذا ما يثبته لنا هذا القول: «وهناك كذلك ضابطان في الجيش لا يمارسان أي شيء آخر عدا لعب الورق في كلّ وقت»[3].

---

[1]–فيودور دوستويفسكي: **الفقراء**، ص 130.

[2]–فيودور دوستويفسكي: **الفقراء**، ص 49.

[3]–فيودور دوستويفسكي: الفقراء، ص 11.

يظهر لنا الإدمان كجزء من حلقة مفرغة، حيث يؤدي الفقر إلى الإدمان والإدمان بدوره يعمق الفقر، ممّا يجعل الشخصيات محاصرة في ظروف دون أمل الخروج منها.

لعبت الاختيارات الخاطئة دورًا كبيرًا في تفاقم مشكلة الفقر، كما أدت إلى خلافات عائلية خلفت من ورائها تفكك الأسر وزيادة العناء والمشقة، وإحدى وقائع رواية "ابن الفقير" تبرّر لنا هذا الرأي فيقص "فورولو": «أعقبت القسمة التي كانت بسبب الاختيار الخاطئ لتسليم مهام إدارة شؤون البيت لإحدى الكنتين بعد موت الجدة. فبعد أن استلمت الخالة حليمة المسؤولية، طالبت والدة "فورولو" بالتقسيم، ولم تكن الخالة ترغب أكثر من هذا، ولم يكن ذلك بالبعيد، لترتكب بعد ذلك الخالة فعل السرقة ليقبض عليها متلبسة بالجرم وهي تسرق قطعة لحم كبيرة، لتنفجر العاصفة وبدى واضحًا أنّ الجميع عزف عن العيش في كنف الجماعة.

في المنزل فقدت فيه الثقة، ليترتب بعد ذلك ثقل المهام على عاتقي الأخوين (الأب والعم)، وأنّ المستقبل لا يخبئ لهما شيئًا طيبًا، بل ازداد فقرًا وأن كل واحد منهما قد فقد نصف ثروته»[1].

كما تناولت الرواية زواج المصلحة كأحد الأفعال التي ساهمت في إزدراء أوضاع الأبناء، حيث أدّى إلى صراعات أسرية وزواج مبكر دون قاعدة مالية متينة، وهذا ما يظهر من خلال القول: «أصل حليمة زوجة عمي من حي الأعلى، وكانت امرأة شديدة قاسية (...) على رغم من أنّ العجوز هي التي إختارتها كان والد حليمة صديقا قديما لجدّي، وقد كان جنديا من فيلق مدغشقر عاد منها بنصيب من المال ظنت جدتي أنّه غنيّ جدّا وفكرت بأنّها وجدت فيه السند القوي لأبناءها»[2].

[1]–مولود فرعون: **ابن الفقير**، ص ص61–62–63 (بتصرف).

[2]–مولود فرعون: **ابن الفقير**، ص 22–23 (ينظر).

نستنتج من خلال تحليلنا مفهوم الفقر كقدر محتوم أو فعل إنساني على أنّه تفاعلات معقّدة بين القرارات الشخصية والظروف الخارجية، فالشخصيات تعمل ضمن حدود قدراتها وإمكانياتها وغالبا ما تجد أنّ المحاولات لتحسن تقابلها عوائق أكبر مما يمكن التغلب عليه بجهود فردية فقط، فهذا ما يعكس لنا رؤية الروائيين للفقر والفقراء، حيث أدرك مولود فرعون ودوستوويفسكي أنّ الأفراد ليسوا مسؤولين دائما بالكامل عن فقرهم، لكن بعض الأفعال والقرارات الخاصة بهم وبحياتهم اليومية وروتيناتهم قد تؤدّي إلى البقاء داخل قوقعة الفقر واستحالة الخروج منها. وهذه الثنائية تبرز لنا مدى تعقيد هذه الظاهرة الاجتماعية، ممّا يجعل من الروايتين دراسة للفقر ومعاني.

فالمشترك الإنساني من خلال الروايتين متجل في الفقر سواء كان قدر أو فعل إنساني ويعكس ويبرز المعاناة المشتركة بين البشر فهم يتشاركون في الالم والتضحية والأمل في تحسسين اوضاعهم رغبة في تحسين أمورهم وهذا ما يسوقنا إلى ظهور القيم الإنسانية والتي تتجاوز الحدود الثقافية واجتماعية، مما يظهر أن الفقر ليس مجرد حالة اقتصادية بل تجربة إنسانية عميقة تتطلب خاصة الفهم.

مخطط رقم (01): الصراع بين القدر والمصير الإنساني في مواجهة الفقر

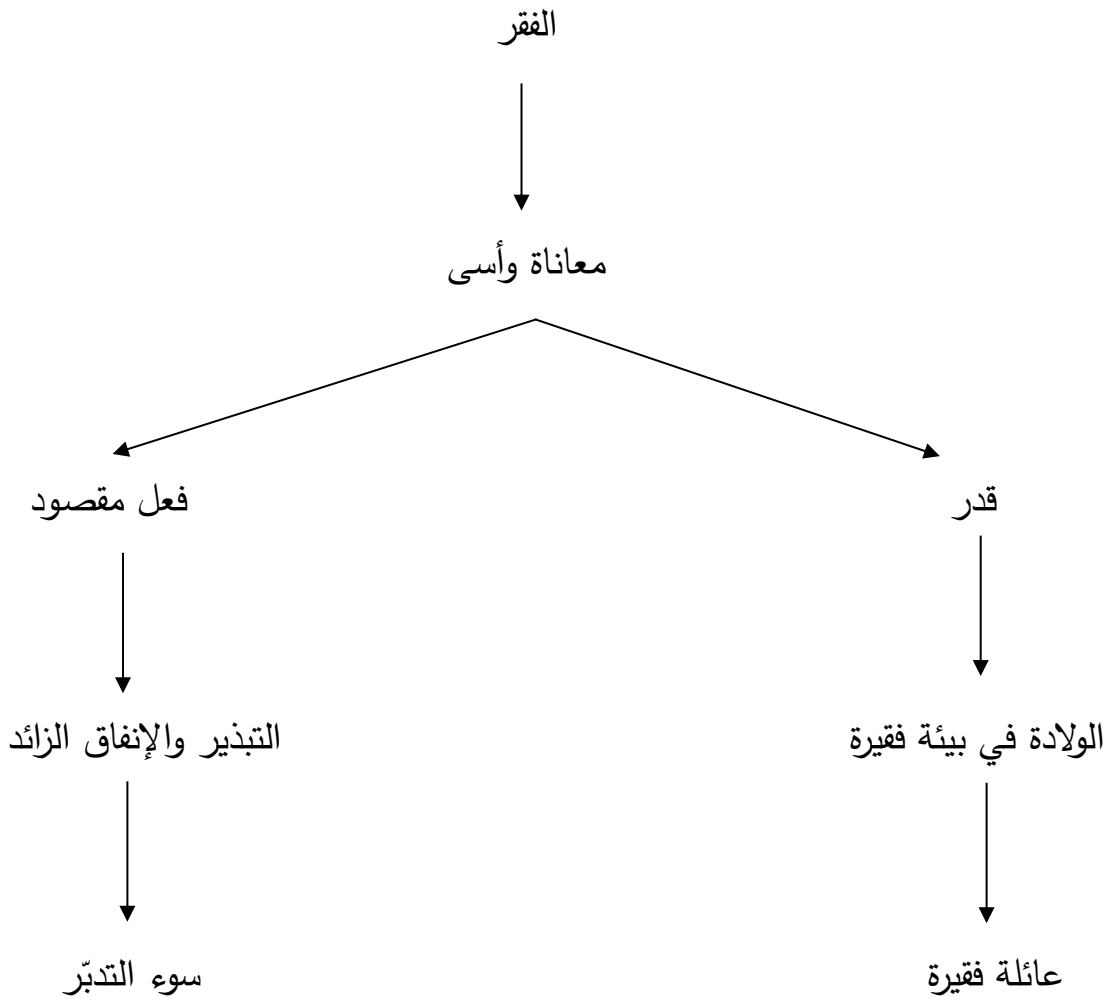

كلتا الروايتين لا تقتصران على تصوير الفقر كظاهرة مادية فقط، بل تتناولان أبعاده النفسية والفلسفية. في "ابن الفقير" هناك دعوة للأمل و التحرر عبر الفعل الإنساني رغم قيود القدر، بينما في "الفقراء" يبدو الفقر أكثر تأصيلا في بنية الشخصيات التي تكافح على مستويات نفسية ووجودية عميقة ، مما يعكس الطابع الأعمق الذي يقدمه دوستويفسكي حول معاناة الإنسان.

بذلك نجد أن الفقر ليس مجرد غياب المال في الروايتان، بل هو حالة من الصراع المستمر بين القدر الفردي والمجتمعي والفعل الإنساني، مما يعكس رؤية متباينة حول قدرة الإنسان على مقاومة الفقر وتحقيق الخلاص.

3-الفقر قتل لفعل الذّات الفردي والجمعي:

يمثل الفعل الفردي والجمعي مفهومين أساسيين في دراسة السلوك الاجتماعي، فحسب "ماكس فيبر"Max Weber" الفعل الفردي أو الإنساني «هو (فقط) ذلك السلوك أو النشاط، الذي يمكن أن ننسب إليه قصد أو معنى ذاتي لتبرير ما قام به الفاعل من نشاط»[1]، ويقصد به ذلك التصرف أو القرار الذي يتخذه الفرد الواحد معبّرًا عن إرادته الشخصية ودوافعه الخاصة، حيث يتحمل الفرد مسؤولية نتائج أفعاله. أما الفعل الاجتماعي هو «الذي يتوجه بسلوك الغير، ويرتبط بمعنى مشترك معه، فالمعنى الذي يفكر فيه الفرد ويقصده هو الذي يجعل الفعل الذي يقوم به اجتماعيًا»[2]، فالفعل الجمعي هو تصور أو قرار تتخذه مجموعة من الأفراد معًا، ممّا يعكس إرادة جماعية لتحقيق أهداف مشتركة، وهذا ما يتميّز به هذا الفعل، حيث يكمن تأثيره الأكبر على المجتمع وأن الأفراد يتحملون المسؤولية بشكل جماعي للنتائج الصادرة عنه. فالعلاقة بين الفعلين معقدة، حيث يمكن أن تؤدي الأفعال الفردية إلى تشكيل حركات جماعية، كما أنّ الأفعال الجماعية يمكن أن تؤثر على قرارات الأفراد. إلاّ أنّ موضوع الفقر سببًا من أسباب قتل لهذه الأفعال.

[1]-حسام الدين فياض: **نظرية الفعل الاجتماعي عند ماكس فيبر، دراسة في علم الاجتماع التأويلي**، ط1، مكتبة نحو علم الاجتماع التنويري،2018، ص 15.

[2]-المرجع نفسه، ص15

عالجت الروايتين ظاهرة الفقر من خلال تصوير معاناة الفقراء وتحدياتهم اليومية، وكيفية تأثيرهم على الروح الجماعية والتعاون الاجتماعي رغم الظروف الصعبة. في المقابل عالج مولود فرعون في رواية "ابن الفقير" الفقر من خلال بطل الرواية الذي نشأ في بيئة فقيرة، تقيّد وتحبط إمكانياته ويشكل خيراته وتطلعاته ليظهر الفقر في كلا الروايتين كقيدًا يؤثر سلبا على الأفعال الفردية والجمعية، حيث يضعف الفعل الفردي بتقليص الفرص والموارد، ويؤثر على الفعل الجمعي من خلال التحديات التي تواجه المجتمع ككلّ.

وتتضح لنا الرؤية من خلال بعض الاقتباسات في الروايتين ففي رواية "الفقراء"، يقول "ماكار": «إنّ المرء ليعيش مأساة حقيقية، حيث لا يستطيع توفير بعض المال لنفسه»[1]. ونقابل بقول آخر جاء في رواية "ابن الفقير" يؤكد لنا أنّ الموضوع المشترك بين الروايتين هو الفقر والذي يتمثل في قول "فورولو": «نحن فقراء»[2].

فمن خلال المقطعين الروائيين يتمثل الفقر كحالة مزمنة تؤثر على جميع جوانب الحياة يؤثر على الوضع الاجتماعي والاقتصادي كما يمس الهوية والتطلعات، ففي السياق الاجتماعي تعبر الروايتين تعبيرًا قويًا على الظروف الاجتماعية والاقتصادية في روسيا والجزائر من خلال الشخصيات والمواقف والأمكنة، ليدفع كل هذا الإنسان الفقير إلى التعرض للظلم والذي هو أصل الشرور كلها فالتعرض المستمر للإعتداء من الآخرين سببًا من أسباب قتل الأفعال الفردية، ويتجلى لنا ذلك من خلال قول "ماكار": «من يريد هؤلاء المتطفلون والشيوخ غريبوا الأطوار والكثر، أن يزج بي في مدرج الآلام والأحزان، وإنّما يرغب هؤلاء الطّفيليون أيضا في

[1]–فيودور دوستويفسكي: **الفقراء**، ص 133–134.

[2]–مولود فرعون: **ابن الفقير**، ص 41.

الدفع بي أنا كذلك إلى الخسارة والفقد والهلاك. وإنّهم سينجحون حقًا في الدّفع بي إلى الهلاك المبين»[1].

فينجح "دوستويفسكي" من خلال هذا القول إظهار الضعف الذي يجنيه ويلحق به الظلم بالأفراد، فيظهر لنا مباشرة بعد هذا الحديث حديثا آخر يؤكد فعل الحد من الأفعال الفردية أو قتلها بشكل كلي «فأنا الآن مثلا، عوض أن أندفع إلى مساعدتك، أحتضر جزءًا فجزءًا! وإذا لم أصل إلى مساعدتك فإنّ ذلك سيكون بالتأكيد هو موتي يا فرينكا»[2].

يظهر التحكم الخارجي من خلال المقطع السردي الروائي فالمتحدث يشعر بأنه تحت سيطرة قوى خارجية تسعى إلى تدميره، وهذا الشعور بالعجز عن المقاومة يوضح فعل للمجتمع والظروف الاجتماعية القاسية القاتلة للفعل الفردي والفشل في مساعدة الآخرين، فالبطل يعترف بأنّه بدلا من التحرك لمساعدة البطلة يجد نفسه في انهيار داخلي يعكس الضغوطات النفسية والاجتماعية التي تؤدي إلى شلل الإرادة الفردية، ممّا يجعله غير قادر على تقديم العون أو حتى إنقاذ نفسه، لأنّ الفعل الذاتي والإرادة الفردية تتلاشى تدريجيا تحت تأثير هذه الضغوطات، فأشار إليه الكاتب على أنّه احتضار يرمز به إلى فقدان الحافز والرغبة في السعي نحو أهدافه، ممّا يعكس مباشرة عملية قتل الذات الفردية، ليتجلى أن الفقر الروحي والنفسي ناتج عن الضغط الخارجي ويؤدي إلى موت رمزي أو حتى حقيقي للفرد.

فنستنتج من خلال المقطعين أنّ قتل الذات الفردية تمت من خلال تأثير الضغوط الخارجية التي تجعل الفرد يشعر بالعجز والتراجع، فالمتطفلون يمثلون القوى التي تسعى إلى التدمير، بينما الاحتضار الداخلي يعكس عملية تلاشي الإرادة والطموح، والعجز عن المساعدة

[1]–فيودور دوستويفسكي: **الفقراء**، ص 137.

[2]–فيودور دوستويفسكي: **الفقراء**، ص 137.

والموت المتوقع يرمزان إلى النتيجة النهائية لهذا الضغط وهو قتل الذات الفردية وفقدان القدرة على الفعل والتأثير.

إضافة إلى ما ذكرناه يظهر بوضوح في رواية "ابن الفقير" أن للفقر يفتك الفعل الذاتي للفرد والمجتمع، لأنّ الفقر ليس مجرد خلفية للحياة اليومية، بل هو حبل خانق يؤثر على الشخصيات في الرواية ويحدّد مصيرهم، فمن خلال المقطع التالي يتبين بوضوح أن انعدام الدعم المالي يقتل الفعل الذاتي والجمعي حيث يقول «ففي السنة الثانية متوسط، وبعد سنة أولى ممتازة كاد أن يتخلى عن كلّ شيء؛ فالمنحة لم يتم تجديدها، ولا ندري لماذا. انتظر المدير شهرًا وشهرين، وفي نهاية ديسمبر، أنذر الممنوحين بأنهم يتوجب عليهم العودة إلى قراهم لعدم وصول المنح»[1].

يوضح من المقطع قتل الذات الفردية من خلال التخلي عن الطموحات، "ففورولو" كان على وشك التخلي عن كلّ شيء بسبب عدم تجديد المنحة، فالتخلي عن الطموحات والأحلام الشخصية بسبب الظروف الاقتصادية الصعبة فعل يعكس قتل الذات الفردية. فالنجاح الذي حققه لم يكن كافيا للاستمرار ومواصلة السعي نحو تحقيق الأهداف لأنّ فقره وضع حاجزًا عازلاً للقدرة على الفعل الفردي المستقل.

ويشير الانتظار الطويل إلى عدم الحصول على الإجابة أو الدعم ليعكس لنا حالة العجز والجمود التي يشعر بها الفرد، فشعوره بأنّه محاصر بلا خيارات وأنّه يتوجب عليه الانتظار يقتل الإرادة عنده والقدرة على التحرك واتّخاذ قرارات مستقلة. بينما نستطيع تحديد قتل الذات الجماعية من خلال الإنذار الذي وجهه المدير للممنوحين الذي يعكس فعلاً جماعيا لقتل الذات الجماعية، حيث يتم إجبارهم على العودة إلى واقع الفقر والجماعة المحدودة الموارد

[1]–مولود فرعون: **ابن الفقير**، ص 134.

وهو قرار يؤثر على المجموعة ككلّ بتفويض فرصهم الجماعية في التقدم والتعليم، وهذا ما يؤدي إلى حرمان المجتمع من التطور والتقدم لأنّ الفقر قوة قاتلة محدّدة للفعل سواء على المستوى الفردي أو الجماعي.

علاوة على ذلك تلعب البنية المكانية دورًا حاسمًا في تصوير الفقر كقوة قاتلة في كلّ من رواية "الفقراء" "لفيودور دوستويفسكي" "Fiodor Dostoievski"، و"ابن الفقير" "لمولود فرعون" ففي هاتين الراويتين تجلت الأماكن ليس فقط كإطار للأحداث، بل عناصر مؤثرة تفرض قيودًا مادية ونفسية على الشخصيات، ممّا يحدّ من قدرتها على الفعل الفردي والجماعي.

في "الفقراء" تعكس أحياء "سانت بيترسبرغ" الفقيرة والمنازل المتهالكة حالة العزلة والاختناق التي تعيشها الشخصيات، ممّا يؤدّي إلى تآكل إرادتهم وقدرتهم على التغيير. أما المدينة تصبح متاهة تحاصر سكانها، وتجعل من الصعب عليهم الفكاك من قيود الفقر التي تدفعهم نحو اليأس والعجز.

من جهة أخرى في "ابن الفقير" تعكس القرية الجزائرية النائية التي نشأ فيها البطل، معازل الفقر والتهميش، المنازل الضيقة والأراضي القاحلة في القرية ليست مجرد فضاءات معيشية، بل هي رموز للعزلة الاجتماعية والانحصار في دائرة الفقر التي تقيد الأفراد والجماعات معًا.

فتلك البنية المكانية تلعب دورًا في قتل الطموح الفردي، وتمنح أي تحرك جماعي نحو التغيير، حيث يجد الناس أنفسهم محاصرين داخل بيئة قاسية لا توفر لهم سوى القليل من الموارد والفرص.

من خلال هذه البنى المكانية، يبرز كل من "دوستويفسكي" و"فرعون" كيف يتحول الفقر من حالة اقتصادية إلى قوة قاهرة تفرض قيودًا تعيق الشخصيات عن الفعل والتحرك بحرية. في هذا التحليل سنستكشف مدى مساهمة الأماكن في الروايتين في تقييد الشخصيات وقتل الفعل الفردي والجماعي، ممّا يعكس رؤى كلّ من الكاتبين حول تأثير الفقر على الإنسان والمجتمع.

فحدّد علماء النّفس مفهوم المكان على أنّه: « حقيقة المكان النفسية تقول أنّ الصفات الموضوعية من مكان ليست وسيلة من وسائل قياسية تسهل التعامل بين النّاس في حياتهم اليومية»[1]، فالمكان مرتبط بالإنسان وحياته الاجتماعية وينقسم إلى قسمين مكان مفتوح وهو ذلك المكان الذي لا حدود له «حيز مكاني خارجي لا تحدّده حدود ضيّقة، يشكل فضاءًا رحبا وغالبا ما يكون لوحة طبيعية في الهواء الطلق، ويتلقى فيه النّاس ويزخر بأشكال متنوعة من الحركة»[2]، ويشير المفهوم أنّ المكان المفتوح فضاء واسع يكتظ ويعج فيه النّاس، ويمكن أن يكون طبيعة، أو قرية، مدينة، شارع، حي.

أما القسم الثاني يتمثل في مكان مغلق عكس المكان المفتوح، حيث حدّدت مساحاته ومكوناته كمكان للعيش، يأوي إليه الإنسان «تعتبر الحواجز والقيود التي تشكل عائق لحرية نشاط الإنسان وانتقاله من مكان لآخر، الصفة البارزة في تحديد المكان المغلق، بالإضافة إلى الحالة النفسية التي بإمكانها تحويل المكان المفتوح إلى مكان مغلق وهذا ينطبق على الأماكن

[1]–عزدين إسماعيل: **التفسير النفسي للأدب**، د.ط، دار غريب للطباعة، 1990، ص76.

[2]–زهرا دهان: "علاقة الشخصية بالمكان المغلق والمفتوح وتشكيل الفضاء الروائي، حامل الورد الأرجواني أنموذجا، «**مجلة إضاءات نقدية**، العدد 31، أيلول 2018، ص 18.

المغلقة، أي يمكن أن تتحول إلى أماكن مفتوحة وبالتالي انغلاق المكان وانفتاحه رهين بالحالة النفسية الساكنة»[1]، فهو مكان محدود تقل فيه الحركة كالمنزل، الغرفة، والمكتب.

ومن الأماكن التي شكلت قيودًا مادية ونفسية ساهمت في قتل الفعل، نجد المدينة والتي حدّدها "دوستويفسكي" في سانت بيترسبرغ"، حيث شكلت مسرحا لحركات الشخصيات، ويتمحور فيها السرد فيها، و عكست البنية الثقافية الاجتماعية للشخصيات، فتقول "فارفارا": «يخيل إليّ أنني كنت سأعيش في غاية من السعادة (...) فقد أجبرت على ترك ذلك المرتع الذي رأيت فيه نور حياتي لأول مرّة، لم تكن لي سوى إثنتي عشر سنة حين نقلت إلى "بيترسبرغ" (...)، بينما كانت أمي تبكي قالت أننا مضطرون للرّحيل، مادام أنّ متاعنا المجموع يفرض علينا ذلك»[2]. يحيل هذا القول إلى عدّة دلالات حيث تجلى قتل فعل الذات، فالانتقال القصري من المكان الذّي يمثل الجذور والذكريات الطفولية المألوفة والمحبوبة إلى مدينة جديدة يعكس قيدًا مفروضًا على الشخصية، ممّا يقتل إمكانية اتّخاذ قرار فردي للبقاء أو الاستمرار في العيش في بيئة تمنح الراحة النفسية، فقرار الرحيل كان نتيجة لضغوط خارجية تتعلق بالفقر والظروف المادية، وهذا دليل أنّ البنية المكانية والاقتصادية يمكنها أن تتحكم في مصير البشر، ممّا يؤدي إلى قتل الفعل الفردي وفقدان الأمل والعجز عن مواجهة الظروف.

أنّ الفقر والضغوطات الاجتماعية تقتل فعل الذات، فالشخص يجد نفسه مضطرًا للقبول بواقع يفرضه عليه سلطة الفقر، ممّا يعزّز مشاعر العجز وفقدان السيطرة والتي تؤدي إلى تدمير الإرادة والقدرة الفردية على اتّخاذ قرارات حرّة. وفي قول آخر نلمس قتل الذات الجماعية من خلال الوصف المادي والنفسي للمكان الجديد الذي انتقلت إليه "فارفارا": «وصلنا

[1]–مرتضي باكر أحمد عباس: "جمالية المكان في رواية الكوبخ لحمور زيادة، دراسة وصفية تحليلية"، **مجلة الأدب والعلوم الإنسانية**، المجلد 4، العدد 8، مارس 2021، ص 78.

[2]–فيودور دوستويفسكي: **الفقراء**، ص 35.

بيترسبورغ في فصل الخريف (...)، لكم كانت يقظة مشابهة بالحزن بعد اللّيلة الأولى التي قضيتها في المسكن الجديد، كانت نوافذها تطل على حائط دهن باللّون الأصفر وكان الشارع موحلا دائما وكان المارة نادرين والجميع ملتفا في دثاره ويشعر بقر شديد»[1]. إن التامل في عبارة مشابه بالحزن يعكس الشّعور الجماعي بالأسى وعدم الراحة بعد الانتقال إلى مسكن جديد، فالشعور بالحزن مشترك يمتد ليشمل جميع أفراد الجماعة الذين يعيشون فيه، ووصف النوافذ والشارع يعكس بيئة ومعزولة لا توفر للشخصيات أي شعور بالراحة والأمل، بل تزيد الشعور بالعزلة والانفصال عن الحياة الاجتماعية الطبيعية بسبب الفقر الذي يفرض حالة من الانغلاق وانعدام الحيوية، و منه ينتج قتلا للفعل الجماعي ويفرض على الفرد الاكتفاء بالذّات، لأنّ انعدام الموارد وعدم توفر الوسائل يسببان حالة من الانكماش والانغلاق خاصة في الأجواء الباردة والقاسية في روسيا، ليصعب على الناس التفاعل بشكل جماعي، ممّا يؤدّي إلى تآكل الروابط الجماعية والشّعور بالوحدة.

يتجلى قتل الذات الجماعية من خلال البنية المكانية الجديدة التي فرض على الشخصيات حالة من العزلة والانكماش. والحزن الجماعي فالبيئة المحيطة القاتمة والباردة تقتل الفعل الجماعي ويجعل الأفراد يشعرون بعدم القدرة على التحرك كجماعة متضامنة، ممّا يساهم هذا في تدمير الرّوح الجماعية، وتزيد الذات معاناة وأسى.

نستخلص نفس الصورة المأساوية للمكان عند في "فولورو" عن القرية وما يميزها من أماكن أخرى، حيث يظهر الوصف الذي يحمله القول قتل للذات الجماعية لكن بطريقة مختلفة تعكس التباين الاجتماعي والاقتصادي الذي يعمق الفجوة بين الأفراد ويعزز الشّعور بالاغتراب والانفصال عن الجماعة ويتمثل في المقطع التالي: «هناك بعض البناءات الواعدة التي شيّدت

[1]–فيودور دوستويفسكي: **الفقراء**، ص 36–37.

حديثا بفضل النقود الوافدة من فرنسا. تعرض تلك الدور بعنجهية واجهاتها وقرميدها وسط ذلك الخراب العام (...)، وبالمرّة فإنّها ليست محطة فخرنا كثيرًا»[1].

تشير وصف البناءات إلى وجود تفاوت واضح في المجتمع، فالمنازل الجديدة رمز للثروة الوافدة من الخارج، وهي ليست في متناول الجميع، فهذا التفاوت والانفصال بين الطبقات الاجتماعية تضل الروح الجماعية التي كانت ممكنة في حالة تساوي الفرص والموارد.

يتبين في قول "فورولو" مضمون مشابه لقتل الذات الجماعية من خلال التباين الاجتماعي، فبدلا أن تكون هذه المنازل رمزًا للتقدم والفخر الجماعي أصبحت رمزًا للفصل بين الفئات المختلفة في المجتمع، وهذا ما يعزّز الشّعور بالاغتراب والعجز وتآكل الفعل الجماعي والتضامن بين الأفراد.

يمكننا أن ندرج الشوارع والأحياء كمعوقات للفعل الجماعي في رواية "الفقراء" "لدوسويفسكي"، فهي تمثل أكثر من مجرد طرق ومساحات حضرية، إنّها تمثّل ديناميكيات اجتماعية معقّدة تمنع أي تواصل أو تحرك جماعي يمكن أن يغيّر من واقع الفقر: «إنّ "لافونتاكا" (...) وعلى الجسور وقفت بعض الفلاحات اللّواتي يبعن الخبز المتبل، والتفاح المتعفن، كانت تلك النسوة قذرات ومبتلات الثياب. لكم هو مزعج أكثر، التجول على امتداد "لافونتاكا"! فثمة الغرانيت المبتل تحت الأقدام، وعلى الجوانب بيوت شديدة السواد بفعل الدخان، ولا يمتد أمام المرء ولا من فوقه سوى الضباب، كذلك إلكم كان هذا المساء شديد العتمة والتجهم والكآبة»[2]، يعبر هذا المشهد عن انعدام الروح الجماعية والتعاون بين أفراد المجتمع فوقوف النساء مع بضاعتهن التافهة بشكل فردي لتعويض ما يمكن أن يكون عاجزًا في شبل العيش

[1]–مولود فرعون: **ابن الفقير**، ص 15.

[2]– فيودور دوستويفسكي: **الفقراء**، ص 165.

فبدلاً من أن يكون تلاحم وتنظيم بين الأفراد لتحسين الأوضاع نجدهم منفصلين بسبب الفقر وكلّ واحد منهم يحاول البقاء على قيد الحياة بطريقته الخاصة. إن البيئة من العوامل المؤثرة على الإنسان حيث تعزز الشّعور باليأس والعزل وتقضي على أيّ أمل جمعي، فالبيوت السوداء والجسور الخاوية تعكس حالة من الجمود والانحلال ولا تعكس فقط الفقر المادي، بل تعكس أيضا الفقر الروحي والاجتماعي كونها تمنع النّاس من التجمع أو التلاحم بطريقة تساهم في تحسين أوضاعهم ممّا يؤدّي هذا إلى قتل الفعل الجمعي.

يتجلى من خلال هذا الوصف قتل الفعل الجمعي بشكل واضح، البيئة القاسية، والضباب والعتمة والعزلة التي تعيشها الفلاحات تعكس حالة من الانفصال الاجتماعي والاقتصادي. الفقر والظروف المحيطة تمنع أي نوع من التعاون المجتمعي أو التنظيم الاجتماعي، ممّا يؤدّي إلى تدمير الفعل الجماعي ويترك الأفراد محاصرين في حالة من البؤس واليأس.

بينما رواية "ابن الفقير" اختار "مولود فرعون" المدرسة لإظهار كيفية إنهيار الأمل والرغبة في التغيير وهو عبارة عن قتل لفعل الفرد.

ومن جهة أخرى يتطرق إلى الفقر السائد بين العامة، وهو الإشارة إلى المنح المدرسية التي تهدد مستقبل المتمدرسين، مما يستنتج منه الحالة الاجتماعية والاقتصادية التي ساهمت بكبح أي مجهود جماعي وبدوره تعطيل أي انبعاث لها. فتقول أسطر الرواية:«لم يعد في الإمكان أبدًا البحث عن المال لمواصلة العناية به في المدرسة من جديد، ولم تعد هذه الفكرة تدور في خلد أي واحد منهم»[1]، فهذا المشهد الوصفي يعكس بوضوح انهيار الفعل الفردي والجماعي. فعلى مستوى الفعل الفردي يتجلى ذلك من خلال الاستسلام للعجز عن تحقيق

[1]–مولود فرعون: **ابن الفقير**، ص 134–135.

الهدف، حيث يشير القول إلى أنّ الفرد لم يعد يسعى لجمع المال أو متابعة العناية بالمدرسة، ممّا يعبر عن قتل الأمل والرغبة في التغيير. أمّا على مستوى الفعل الجمعي فتتضح صورة التخلي عن المسؤولية المشتركة، حيث لم تعد فكرة تحسين الوضع تشغل بال أي شخص من الجماعة، ممّا يعني فقدان الحافز الجماعي للتعاون والعمل نحو هدف مشترك، بهذا استطاع الراوي أن يصف من خلال المقاطع السردية حالة من الاستسلام التام أمام الواقع المرير، حيث تلاشت الإرادة والقدرة على مواجهة التحديات سواء على الصعيد الفردي أو الجماعي.

يتخلى الفرد عن محاولاته للتغيير، ويفقد المجتمع حافزه الجماعي تتلاشى فرص التقدم والتحسين. فهذا الاقتباس يجسد قوة الواقع السلبي في إخماد أي مبادرة أو جهد، ممّا يؤدّي إلى حالة من الجمود وعدم القدرة على تجاوز الصعاب، سواء كان ذلك على مستوى فرد أو جماعة.

تمثل الأماكن المغلقة مشهدا آخر لوصف البؤس والفقر فالمنزل والغرفة رمزًا معقدًا يعكس أوضاع الشخصيات وعمق معاناتها، فالروائيان يعبران عن الفقر من خلال ظروف المعيشية المتردية، والمساحات الضيقة التي تعكس الحالة النفسية والاجتماعية للشخصيات ويرمز المنزل إلى العزلة والانفصال عن المجتمع، حيث يعيش الفقراء في غرف ضيقة ومنعزلة، ممّا يثير الشّعور بالوحدة والانفصال عن العالم الخارجي. ويظهر من خلال قول "ماكار": «لو أنك تتصورين في أي جحر وقعت (...) يا لها من شقة! كنت كما تعلمين في السابق أعيش في وسط يغطي عليه الهدوء والصمت (...)، أمّا هنا فعلى العكس ثمت ضوضاء وصراخ وجلبة لا تنتهي (...) تصوري (...) ممرًا طويلاً ومعتمًا جدًّا، وفي غاية القذارة على يمين ذلك الممر ثمت جدار عارم وعلى يساره أبواب متوالية مثلما الحال في الفنادق»[1]. فيتبين لنا أن الفقر قاتل للفعل الفردي من خلال الانتقال من بيئة هادئة ومريحة إلى بيئة ضيقة مليئة

[1]–فيودور دوستويفسكي: **الفقراء**، ص 11 (ينظر).

بالفوضى وهو تدهور الظروف المعيشية التي تؤثر سلبًا على القدرة الفردية، إضافة إلى الضوضاء والصراخ اللّذان يعوّقان التركيز والتفكير بوضوح، والقذارة والظلام يعكسان بيئة غير صحية وغير معاكسة ممّا يعد من القدرة على الإبداع والتطور.

فنلاحظ أنّ التقييد الجسدي والنفسي للشخصية يخلق شعورًا بالحصار، ويقلّل من الدوافع الشخصية، ممّا يجعل الفرد يشعر بالعجز والمحدودية في التفكير والاحساس.

هكذا يكشف القول كيف يمكن للفقر أن يقتل الفعل الفردي من خلال أحداث بيئة غير ملائمة تعيق وتقيد الحركة وتؤثر سلبا على المبادرة والعمل. وفي حديث آخر عن الغرفة يتجلى لنا قتل الفعل الجماعي بوضوح والذي يتمثل في: «هناك أسرة بكاملها الفقراء عندنا تحتل غرفة بالدار (...) مسكنهم مجرد غرفة مشطورة إلى نصفين»[1].

بناءً على هذا القول يتّضح أن الفقر والضيق يمكن أن يقتلا الفعل الجماعي، فالعيش في غرفة ضيقة وقليلة الخصوصية قد يساهم في تآكل الروابط الاجتماعية داخل الأسرة، ممّا يزيد التوتر والنزاعات ويقلّل من القدرة على التعاون الإيجابي وتحقيق أهداف مشتركة في بيئة محبوسة يفقد أفرادها دافعا إجتماعي3ا.

ويعزز الشعور بالعزلة والتوتر، ويحمل قول "فورولو" نوع من القتل الفردي والجماعي عبر وصفه لحدث وقع في المنزل «هرعنا إلى منزلنا ويا للهول كانت الأشياء قد بعثرت على الأرض شذر مذر الرفوف فارغة والأغطية مخربة شاهدنا في كلّ زوايا المنزل أكواما من الملابس المكدسة والأواني»[2]، فتأمل في تأثير الأحداث على الحياة الشخصية والجماعية تعكس الصورة الواردة في النص وهي حالة من الفوضى والدّمار، ممّا ترمز إلى فقدان السيطرة

[1]–فيودور دوستويفسكي: **الفقراء**، ص 165.

[2]–مولود فرعون: **ابن الفقير**، عبد الرزاق عبيد، ص 88.

على الذات الفردية والجماعية، فالأحداث الموصوفة يمكنها أن تؤدي إلى إضعاف الروح الفردية والجماعية فتدمير والخلط يشير إلى اضطراب شديد في النظام الطبيعي للحياة اليومية.

فنستنتج أنّ المشترك الإنساني يكمن في تجربة الفقر وما يصاحبه من عواقب على الفرد والجماعة.

الفقر يعزل الأفراد عن المجتمع، ويضع حواجز أمام تحقيق الذات، ويزيد الشّعور بالعزل والكآبة والإحباط، وعلى الرّغم من اختلاف الزمان والمكان في الروايتين، إلاّ أنّ تأثير الفقر على الإنسان يبقى متشابها، ممّا يعكس تجربة إنسانية تتجاوز الحدود الثقافية والجغرافية، إذن الفقر ليس مجرد حالة اقتصادية، بلهو عامل مركزي يقتل ويفتك بالروح والطموح ويؤدي إلى انحلال الفعل الفردي والجماعي.

مخطط رقم (02): البنية المكانية للروايتين:

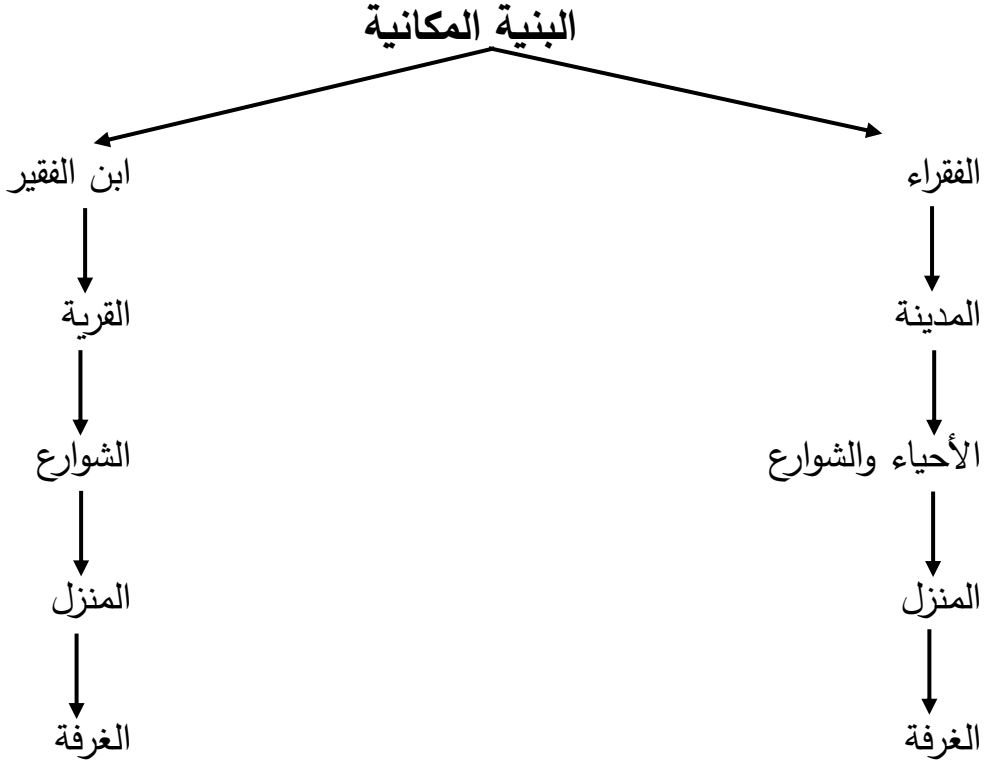

إن البنية المكانية في كل من الفقراء و"إبن الفقير" تحمل دلالات ثقافية وإجتماعية عميقة عن العلاقات بين الأماكن والشخصيات، حيث تشكل هذه الأماكن مركزًا للفقر والضيق النفسي، وتعكس قوى الهيمنة الاجتماعية والاقتصادية التي تضع حدودا ثابتة لحياة الشخصيات. فالفضاءات الخارجية (المدينة، القرية، الحي، الشارع) والفضاءات الداخلية (المنزل، الغرفة) تتداخل لتمثل الواقع الوادي للفقر والوضع النفسي والاجتماعي للإنسان المقهور.

4-الفقر عدو الإنسان :

تمكن الفقر أن يكون عدوًا لدودًا للإنسان، حيث ألقى بضلاله على مختلف جوانب الحياة فامتد تأثيره إلى الجانب الصحي (الجسدي، النفسي)، التعلمي وخلخلة العلاقات الاجتماعية، وتعريض الفرد للاستغلال والتهميش ممّا يؤدّي إلى نقص تقدير الذّات والتشكيك في القدرات والإمكانيات، وكلّ هذا يدفع إلى تدهور جودة الحياة.

من خلال تحليلات الروائيين للمجتمعين (الروسي والجزائري) عبر التمثيلات والأوصاف التي تم انتقاءها لإبراز مشاكل الفقر وعواقبه الوخيمة على الفرد والمجتمع، استهلا دوستويفسكي ومولود فرعون موضوع البنية الاجتماعية في المدينة والريف ويتبين التفاوت الطبقي بين الطبقتين الكادحة والغنية وكيف ساهمت البنية المكانية في التأثير على البنية الاجتماعية والاقتصادية للأفراد.

يبين علماء الاجتماع أن الفقر عدو الإنسان، فالمرض نجده كعاقبة مباشرة للفقر كشخصيات الرواية التي تعاني من ظروف صحية سيئة، ونفسية مستشارة، فتقول "فارفارا" عن أبيها: «أصبح والدي المسكين تحت تأثير الهم والحزن وخيبة الأمل، محترزًا وغضوبًا، وكأنّ غالبا ما يوشك على اليأس والانهيار، أخذ في إهمال صحته فأصابته نزلة برد مات على أثرها

بعد أن مرض لفترة قصيرة»[1]، فالمرض رمز للمعاناة الإنسانية التي يعيشها الإنسان الفقير، فيعكس الألم النفسي والجسدي في الوقت نفسه، ممّا يؤكد من فكرة أنّ الفقر ليس مجرّد حالة اقتصادية، بل هي حالة شاملة للصحة النفسية والجسدية، تظهر إشكالية المرض في الرواية من خلال شخصية "بوكروفسكي" الملقّب بـ"بانتكا" الذي تقول عنه "فارفارا" في إحدى رسائلها: «سقط طريح الفراش (...) كان يبذل الكثير من الجهد في البحث عن وسيلة للعيش، وأنّه ظلّ في ذلك الحين دون وضع اقتصادي قار. وحافظ مثل غيره من المرض بالسل، على الأمل في عمر طويل إلى آخر لحظة في حياته»[2]. فالبحث عن وضع اقتصادي مستقر رغم المرض يعكس لنا دلالة عميقة تتعلق بالإنسانية والصّراع من أجل البقاء ويعكس إرادة الفرد في مواجهة التحديات وتحسين حياته حتى في ظلّ المعاناة، لكن بالنسبة لـ"بوكروفسكي" فإصابته بالسل قد وضع حدًا لحياته رغم أنّه كان يتمسك بكرامته الإنسانية وسعى للحفاظ على استقلاليته دون الاعتماد الكامل على الآخرين.

أشار "مولود فرعون" في الرواية إلى المرض بأنّه ناتج من الفقر، وتجلى لنا ذلك في استذكار "فورولو" الأيام الصعبة من حياته: «كان قد بلغ سن الحادي عشر عندما أنهك والده المرض بسبب الإجهاد كان ذلك في نهاية جني التين. قضى رمضان من قبل جميع الليالي في الحقل لمراقبة المنشر»[3]، وهذا القول يشير إلى أنّ الفقر يدفع الإنسان إلى العمل والتضحية ليلاً ونهارًا من أجل توفير الشروط المناسبة للعيش. فتحمل الصحة الفردية صورة رهان أو قربان يتم تقديمه للأيام من أجل البقاء.

---

[1]–فيودور دوستويفسكي: **الفقراء**، ص 40.

[2]–فيودور دوستويفسكي: **الفقراء**، ص 71 (ينظر).

[3]–مولود فرعون: **ابن الفقير**، ص 102.

جاء المرض كرمز للمعاناة في الروايتين بسبب نقص الموارد وغياب الدعم الصحي وإهمال السّلطات لاحتياجات الفقراء في مجال الرعاية الصحية، بحيث لا تحمل الروايتين أي إشارة لوجود برامج أو خدمات صحية قد تساعد الأفراد على مواجهة هذه المشاكل، وتجلى لنا أيضا كعدو مشترك فإستطاعا أن يكون معديًا وينتقل بين الأفراد، ممّا يسبب تراكم الألم والمعاناة في المجتمع الفقير والذي يزيد من حدّة الأزمات ونستشهد بحديث بطلة رواية "الفقراء" عندما قالت: «بدأت مصائبي بمرض بوكروفسكي وموته»[1].

إضافة إلى ما سبق فللفقر أثار سلبية بحيث يؤثر على العلاقات بين الأشخاص ويخلق توترًا وصراعات داخلها فيصبح الأفراد أكثر انشغالاً في كيفية البقاء حسب بدلاً من بناء علاقات صحية، كما يحدّد لنا التفاوت الكبير بين الطبقات والسّلطة التي يتمتع بها فرد على فرد آخر، ممّا يتعرض له الفقراء إزاء إزدراء أوضاعهم من طرف الفئة الغنية التي تعيش في مساحات من الراحة والاستقرار ويظهر جلّ هذا من خلال بعض المقاطع الروائية من الروايتين.

فمن خلال رواية "الفقراء" نكتشف ما تتعرض له العاملات أو الخدمات الفقيرات في بيوت الأغنياء من معاملة سيئة من توبيخ واحتقار فيقول "ماكار" عن الخادمة "تيريز": «إنّ صاحبة البيت ليس لها حقًّا، قلب رحيم بها. فهي ترهقها بالعمل المتواصل، وتعاملها مثلما تعامل الأمة السوداء»[2]. وفي قول آخر: «أمّا ربت البيت (...) تقضي اليوم كله في تقريع "تيريز" ليل نهار»[3].

[1]–فيودور دوستويفسكي: **الفقراء**، ص 71.

[2]–فيودور دوستويفسكي: **الفقراء**، ص 11.

[3]–المصدر نفسه، ص 12.

من خلال القولين يتضح لنا طريقة معاملة الإنسان الذّي يتمتّع بنفوذ وإمكانيات مع الذي لا يتحلى بأيّ نوع من القوّة، فنستنتج أنّ القويّ يأكل الضعيف.

أمّا من خلال رواية "ابن الفقير" فهي تناولت نوعًا من سوء المعاملة، والتي تمثلت في السخرية والاستهزاء. حيث يساهمان أيضا في تدمير العلاقات الإنسانية وزرع العداوة بين الأفراد، فهذه الأفعال تظهر في عدم الاحترام وتؤدي إلى تفكيك الروابط الاجتماعية، وهذا ما نجده في الرواية: «كان فورولو حساسًا وحقودًا. وكان يحقد على كلّ أهل قريته اللّذين كانوا يرفضون أخذ اختياراته مأخذ جد، ويضحكون من سذاجة المنراد»[1]،ونفهم من القول أنّ السخرية من الطموحات وإحباط النّاس من الأشياء التي تقوم بتخريب العلاقات والتعاملات بين الأفراد، ونربط كلّ هذا بكفاحات "فورولو" من أجل الخروج من حلقة الفقر، ممّا يؤكّد لنا العداوة التي يحملها يسببها الفقر للإنسان.

من النقاط التي تم التطرق إليها في الروايتين الإستغلال الذّي يلقي الضّوء على لعنة الفقر، فنقد البنية الاجتماعية والاقتصادية سمحت لنا أن نفهم أنّ الفقراء غالبا ما يجدون أنفسهم في مواقف ضعف أمام من يملكون الثروات، كما سمحت لنا أن نستنتج أن الاستغلال أنواع تتراوح بين الاستغلال العاطفي والاقتصادي، حيث تستغل بعض الشخصيات مشاعر الآخرين لتحقيق مصالحها "ففارينكا" وجدت نفسها مجبرة على التعامل مع شخصيات ذات نفوذ تسعى لاستغلالها بسبب وضعها الهش وتقول: «لقد كانت هذه المرأة شريرة، ولم تكن المدة التي قضيناها معها سوى مجرد عذاب أليم طال بنا أمده، ومازلت إلى الآن أتساءل عن السبب

[1]–مولود فرعون: **ابن الفقير**، ص 134.

الذي دعاها كي تستضيفنا عندها، في البداية كانت تراعي قليلا مشاعرنا لكن طبعها الحقيقي سرعان ما كشف لنا بالملموس»[1].

يشير القول إلى كيف صورة الإنسان وهو يحول نقاط ضعف ومشاعر الوحدة التي يعاني منها إنسان آخر لنقطة قوة يحقق بها مصالحه الشخصية بكلّ برودة وعدم اكتراث، ممّا يعمق إحساس الفقير بالضّعف والعجز.

أما الاستغلال مقارنة برواية ابن الفقير تجلى لنا على شكل عقد صفقات غير عادلة، لكون الفقراء يشكلون كل السبل التي تؤدي إلى تحسين واستقرار الأوضاع،ويتجلى من خلال المقطع: «يمكن للفقراء أن يكسبوا الحيوانات مثل الأغنياء. حيوانات لا يشترونها لكن توكل لهم من قبل الآخرين وعندما تباع تقتطع منها الفائدة»[2].

في قول آخر: «ألزمت حليمة لونيس بأن "يحكم" شجرتي زيتون لقريب لهم ثري (...)، حيث يوكل المالك ذاك الحقل وتلك الشجرة لفلان من النّاس يحرصها ويلتقط زيتونها ويطحنه ويسلم زيتها إليه»[3].

يتجلى في القولين نوع من الاستغلال، حيث يشيران إلى إمكانية استغلال الفقراء من قبل الأغنياء فهم يعملون على تحقيق فائدة الآخرين دون أن يحصلوا على مقابل عادل، وهذا النوع من الاستغلال غير أخلاقي، حيث يتم الاستفادة من جهود النّاس بينما يبقى الآخرون في راحة.

---

[1]–فيودور دوستويفسكي: **الفقراء**، ص 43.

[2]–مولود فرعون: **ابن الفقير**، ص 19.

[3]–مولود فرعون: **ابن الفقير**، ص 71.

فإنّ هذا النوع من العلاقات تعمق الفجوة وتكبر الهالة السوداء بين الأغنياء والفقراء، ويؤدي إلى تفاقم المعاناة، إذن الفقر عدو للإنسان مهما كانت أصوله وإيديولوجياته فهو يقتل المشاعر ويزيد من حدة الفوضى وعدم الاستقرار.

يلتحق التهميش إلى آثار سلبية التي تسببها ظاهرة الفقر، فهو مفهوم يشير إلى استبعاد الأفراد أو المجتمعات من المشاركة الفعالة في الحياة الاجتماعية، ويتمثل كحرمان وتمييز وغيره من تمثيلات، فمن خلال الروايتين يظهر لنا من خلال معاناة الأفراد من ظروف اقتصادية صعبة، ممّا يعيق قدرتهم على تحسين أوضاعهم.

نفهم من خلال شخصيات روايتين وتفاصيل حياتهم كيف استطاع الفقر أن يؤدي بهم هاوية التهميش فتقول "فارفارا": «كانت تقدمنا إلى الغرباء، على أننا من مقربيها الفقراء، ولا تتردد في التحدث عن أمي باعتبارها أرملة معدمة وعني على أساس أنني يتيمة مثل أمي»[1].

نقول أيضا: «فحين يصل إلى بيتنا، لا يجرأ على التقدم إلى الأمام وحين يعبر أحد منا سواء أكنت أنا أم ساشا، أم خادما يعرف أنّه يرفق به ينادي على العابر فورًا بحركات ميمية متنوعة من ذراعيه ولما يومئ له أحدنا برأسه بعد ذلك بإشارة تدل على أنّ ما من أحد غريب بالبيت وأنّ بإمكانه الدخول إذا ما حبّ ذلك»[2].

أما في رواية "مولود فرعون" أشار إليه من خلال المقارنة بين الأغنياء والفقراء «هل تتصور أننا خلقنا للمدارس؟ نحن فقراء، والدراسات مخصصة للأغنياء، هم يمكنهم أن يسمحوا لأنفسهم بتضييع عدّة سنوات وأن سقطوا في الأخير ليصبحوا من الكسالى في القرية»[3].

---

[1]–فيودور دوستويفسكي: **الفقراء**، ص 43.

[2]–فيودور دوستويفسكي: **الفقراء**، ص 48.

[3]–مولود فرعون: **ابن الفقير**، ص 122.

يقصد الراوي من هذا القول أنّ الفقير مستبعد عن حقوقه بينما الأغنياء يستطيعون أن يتوصلوا إلى رغباتهم باستغلال مكاناتهم.

في قول آخر يظهر تهميش السلطات الفرنسية للمجتمع الفقير «جرى الامتحان في مدينة عين الحمام على بعد عشرين كلم من قريته وهي مدينة بأتم معنى الكلمة يقطنها كثير من الفرنسيين، بها عمارات عالية وشوارع جميلة ووجهات أنيقة وسيارات تعبر طرقتها إنّها ليست تيزي»[1].

يتمثل من خلال القول الدّور الكبير الذي يلعبه التفاوت الطبقي في تهميش الأفراد من خلال تعزيز الفجوات الاجتماعية والاقتصادية التي تؤثر على فرص الحياة كالتعليم، فالأفراد من الطبقات الاجتماعية الدنيا، غالبا ما يواجهون عراقيل في الوصول إلى التعليم الجيد. فنجد المناطق الفقيرة إمّا لا تمتلك أي مدارس، ممّا يدفع بسكان القرى التنقل إلى مناطق أخرى للحصول على التعليم، أو إذا توفرت المدارس تفتقر إلى الموارد اللازمة، ممّا يؤدي إلى تكريس الفجوة بين الطبقات.

نلاحظ أن المهمشون يعانون من فقدان الهوية والانتماء، حيث يشعرون بأنّهم غير مقبولين في المجتمع، وهذا التمييز يقلّل من فرص العمل ويزيد من تقوية جذور الفقر.

تظهر الروايتان أنّ التهميش الاجتماعي يعكس واقعًا إنسانيًا مشتركًا، حيث يتقاسم الأفراد الفقراء والمهمشون مشاعر الألم والعزلة وفقدان الهوية والانتماء، ممّا يؤثر هذا على تقدير الذات والشّعور بالدونية، ويقصد بهذا الأخير بعدم شعور الفرد بالرضا وتقديره لقيمته الذاتية، والذي تجلّى في عدّة مظاهر كالشك المستمر في القدرات الذاتية والانتقاد القاسي للذات

[1]–المصدر نفسه، ص 110.

والخوف من مواجهة التحديات، وقد ينشأ نقص تقدير الذات نتيجة التنشئة الاجتماعية في بيئة تركز على نقاط الضعف كالخبرات السلبية (الفشل، الرفض)، المقارنة المستمرة بمعايير غير واقعية، أو الاضطرابات النفسية كالإكتئاب والقلق. كما أنّ الفقر والتهميش الاجتماعي قد يؤديان إلى شعور الفرد بالدنيا وعدم الكفاءة. ونستدل لهذه النقطة ببعض الاقتباسات من الروايتين لقول "ماكار": «إنّ الفقير لمرتاب وظنون، بل إنّ له طريقة خاصّة في تأمل العالم من حوله (...) معتقدا أنّ النّاس تتحدث عنه دائما وتنتقد مظهره الخارجي الوضيع. ويعلم الكلّ "يافرينكا" بأنّ الإنسان الفقير أقبح من خرقة بالية وأنّه لا يمكن أن يتمتع بأي اعتبار»[1]. وفي قول آخر يتحدث "ماكار" عن هندامه: «لقد كنت مضطربا يا "فرينكا"! أجل، إنّ المرء يشعر بالتضايق طبعا، حين يخرج مرفقاه من كمي القميص الذي يرتديه، وحين تتأرجح أزرار ردائه، لمّا يرتخي الخيط الذي يشده، وقد كان وضعي كذلك إن المرء لا يخجل بالرغم عنه»[2].

أشارت الرواية من خلال هذين القولين إلى المعاناة النفسية التي يمكن أن تلحق بالفرد بسبب الفقر وتدني أوضاعهم ليقول في قوله الثالث عن شعوره بتدني قيمته في مكان عمله: «من العار عليا الاستمرار في ارتداء مثل هذه الاردية التي تلتصق اليوم بجلدي.كنت وأنا أجلس في مقعدي بالمكتب أنحرق شوقًا في اللحظة التي أخرج فيها، وكأنني كنت أجلس فوق مسامير حادة ناهيك عن هؤلاء الساخرين –سمحهم الله– الذي كان يضحكون مني بمناسبة أو بأخرى»[3]. فالظروف المعيشية القاسية والتجارب السلبية تبرز ما يمكن للفقر أن يقوض تقدير الذات عبر تجارب الحياة اليومية المؤلمة وتعزيز مشاعر الحجز والضعف.

---

[1]– فيودور دوستويفسكي: **الفقراء**، ص 125–126 (ينظر).

[2]– المصدر نفسه، ص 128.

[3]–فيودور دوستويفسكي: **الفقراء**، ص 132.

أما في رواية "ابن الفقير" يعبر "مولود فرعون" عن نقص تقدير الذات، وذلك من خلال شخصية "فورولو" الذي يشعر بعدم الجدوى وعدم الثقة في نفسه، حيث يعيش في ظل الإحساس بالدونية والخوف من الفشل، ممّا يسبب هذا في تردده وعدم قدرته اتّخاذ قرارات حاسمة: «كانت المسابقة مع مرور الأيام تبدو له صعبة ومرعبة وكان "فورولو" وهو لا يكل من العمل تخونه الشجاعة»[1]. وفي قول آخر: «كانت تلك الشفقة إليه بمثابة اشتم وتجعله مريضا وعندما يشرح لهم أنّه يستعيد عن قريب منحته ويصر على ذلك، وإنّه إنّما بقي في القرية لهذا السبب كان النّاس يمشون برؤوسهم وينصحونه بعدم العودة إلى التفكير في هذا أبدًا تصل به الأمور إلى حد الاختناق وتذرف عيناه بالدموع، وعندئذ يضحكون منه ويسبونه (...) وفي هذه الأثناء، كان الاب يبدو مهتزًا وكان يتأسف لكونه دفع إبنه في طريق وعرة جدًّا لمن كان فقيرًا»[2].

يتضح من خلال القولين أنّ الإنسان ذو طموحات وأحلام قيمة يحاول تحقيقها ويصل إلى أبعد مدى، إلاّ أن يصادف عراقيل قد تتمثل في نقص الشجاعة، كلام الناس، عدم توفر الشروط، ممّا يؤدي هذا إلى كسر جناحي طموحاته وتدني ثقته في ذاته.

في الختام يظهر الفقر في كلتا الروايتين من "الفقراء" و"ابن الفقير" كعامل رئيسي ومشترك يؤثر على الأفراد بشكل مشابه رغم الاختلاف، فهو يتسبب في تفاقم الشعور السلبي اتجاه الحياة واتجاه أنفسهم ومجتمعاتهم، ممّا يؤدّي إلى سلوكيات عدائية.

إذ يبرز الفقر كعدو ليس فقط في المستوى الاقتصادي بل في المستوى النفسي والصحي والعلاقات الاجتماعية، ممّا يسلّط الضوء على ضرورة التعامل مع جذور هذه القضية بفعالية.

---

[1]–مولود فرعون: **ابن الفقير**، ص 138.

[2]–المصدر نفسه، ص 135–136.

الفصل الثاني:

الكتابة الإبداعية نضال من أجل إثبات الوعي الجمعي

1-وقفة عند عتبة العنوانين.

2-الرؤية المأساوية للحياة.

3-تداعيات السلوك الاجتماعي وتشريح المجتمع.

4-الكتابة انتقاء للمجتمع.

تمهيد:

تعد علاقة الأدب بالمجتمع قضية هامّة ومعرفتها تقودنا إلى القول: أنّ الأديب يعي بعده الاجتماعي ويسلم «بالحتميات التي تفرضها الظروف الخارجية وبخاصة الاجتماعية على النشاط الأدبي»[1]. ممّا يؤكّد العلاقة الوطيدة بين الأدب والبيئة وعما تصبو إليه انطلاقا من هذا الواقع في حركة الحياة والمصير.

فالأديب على هذا النحو ليس مجردا من مسؤوليته الاجتماعية، بل هو «مسؤول عن تقديم مجتمعه وتأخره باعتباره مشاركًا فيه وباعتباره متأثر ومؤثرًا فيه». وهذا يعد موقفا صريحا في أن المجتمع لا يمكنه الاستغناء عن الأدب، لذلك ليس غريبًا أن نعود إلى المجتمع ليمدنا تفسيرات كما هو معروف –ظاهرة اجتماعية نشاطها: «يتوازن مع النشاط الاجتماعي فالمجتمع بشتى ألون النشاط فيه يترك كثيرا من الانطباعات التي تمكن تمثيلها في النشاط الفني».

لذا نجد الأديب على صلة دائمة بمجتمعه يوجه أدبه للمجتمع الذي يعيش فيه، وأن كلّ ما يكتبه لنفسيه فحسب بل يكتبه لمجتمعه: «ومن ثم كانت مطالبته أن يكون اجتماعيا في أدبه مطالبة طبيعية، أما أن يتخلى عن مجتمعه، فإنّ ذلك يعد شذوذًا وانحرافًا وانسياقًا نحو ضرب من الانعزال من شأنه أن يفتك في عضد المجتمع». والمجتمع السليم هو الذي يظهر لمظهر القوة والتماسك في شبكة علاقاته الاجتماعية، وتتضامن فيه وحداته خدمة للصالح العام، حيث لا يوجد الأدباء بمعزل عنه، بل هم له بالعون النافع يعيشون آلامه، وآماله والأديب الحق لا يفهم الحياة حق الفهم إلا إذا قام بواجبه إزاء مجتمعه الذي يعيش فيه، وبذلك يكون

[1]–عيسى مدور: "التفاعل بين الأدب والمجتمع (أدبيات محمد العيد آل خليفة أنموذجا)"، **مجلة التراث**، جامعة باتنة–الجزائر، العدد 03، 15–11–2012، ص ص 73–76 (بتصرف)، اطلع عليها يوم: 13–04–2024 على الساعة 15:00.

أدبه أدبا يحقق الصلة بينه وبين أمته، إذ لا يستطيع أن يعيش منعزلا عن مجتمعه، أو يعرف نظره عنه، وعما يعانيه من أحداث وهذا ما يؤكد عمق العلاقة التفاعلية بين الأدب والمجتمع.

1- وقفة عند العنوانين:

يعتبر الغلاف من عتبات النص الأدبي، فمن خلاله يعبر السيميائي إلى أغوار النص الرّمزي والدلالي ويدخل النّص الموازي (Paratexte)، والنص الموازي عند "جيرار جنيت" "GerardGenette" هو: «ما يصنع به بعض النص من نفسه كتابا، ويقترح ذاته بهذه الصفة على قراءه، وعموما على الجمهور، أي ما يحيط بالكتاب من سياج أولي وعتبات بصرية ولغوية، ويحلّله "جنيت" إلى النص المحيط والنص الفوقي، ويشمل النص المحيط كلّ ما يتعلق بالشكل الخارجي للكتاب كالصورة المصاحبة للغلاف»[1].ومنه يلعب الغلاف دورًا في عملية التأويل والفهم، ولكلّ عنصر فيه عملية يقوم بها، فالصورة والألوان والعنوان يعدّ بمثابة العتبة التي تحيط بالنصّ، والتي من خلالها يمكن العبور إليه وكشف خباياه.

احتل العنوان مكانة هامة في الدّراسات الأدبية والنقدية، كما حظي باهتمام العديد من الدارسين من كلا القطبين العربي والغربي التي تطأها أعين القراء قبل الولوج إلى العناصر الخفية والعميقة للنصّ. فعرفه "لوي هويك" "LeoHeok" أنّه: «مجموعة من العلامات اللّسانية من كلمات وجمل، وحتى النصوص قد تظهر على رأس النصّ لتدل عليه وتعنيه، تشير إلى محتواه الكلي ولجذب جمهوره المستهدف»[2].

[1]-بلقاسم دفة: **التحليلي السيميائي للبنى السردية رواية "حمامة سلام"**، لنجيب الكيلاني أنموذجا، الملتقى الوطني الثاني، المنشورات الجامعية بسكرة، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2002، ص 37.

[2]-عبد الحق بلعابد: **عتبات (من النّص إلى المناص)**، ط1، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2008، ص 87.

فانطلاقا من التعريفين سنقف عند عنوان الروايتين "ابن الفقير" لمولود فرعون "والفقراء" لدوستوفسكي، اللّتان سلطتا الضوء على الظروف المعيشية الصعبة للطبقات الفقيرة الكادحة في المجتمع الروسي والمجتمع الجزائري في القرن التاسع عشر.

ارتبط العنوانين ارتباطا وثيقا بالموضوع الأساسي الذي هو الفقر، حيث أظهر لنا الروائيين تفاصيل حياة الفقراء كالمعاناة من البرد والجوع والمرض والحاجة والعوز والشعور باليأس والإحباط، ليستهل هذا التجسيد المأساة الإنسانية، ويجعل القارئ يشعر بعمق المعاناة لكافة الشعوب رغم اختلاف الأجناس والأعراق والديانات والثقافات واللّغات.

جاء عنوان رواية "مولود فرعون" في أعلى غلاف الرواية ليعبر عن حالة ووضعية شخصية بطل الرواية والمعاناة التي يمر بها الشعب الجزائري آنذاك، وإثارة مشاعر الجمهور المتلقي وتأجيج عواطفه.

الرواية معنونة بـ "ابن الفقير" وهي جملة اسمية تدل وترمز إلى ثبات حركة الشخصية لينجح في تحريك ذهنية المتلقي في استحضار بعض الأحداث التاريخية التي عاشها المجتمع الجزائري خاصة الطبقة الفقيرة التي عانت الاستبداد والظّلم من طرف المستعمر الفرنسي.

يحمل العنوان عدّة دلالات واختزن علامات شكلت مرتكزًا يمكننا الوقوف من خلاله للعبور لباقي أحداث الرواية، فلفظة "ابن" تشير إلى الطفل المسكين الذي يكابد معاناة الوجود، والعيش كنفس هادئة وراضية، فهو يعكس لنا حالة الطّفل الجزائري وما يعانيه من حرمان وجوع وفقر وتدني الأوضاع الاجتماعية، وهذا ما ورد في الرواية: «كلّ واحد منا نحن اللّذين في الأسفل يجب أن يعرف الفقر والثروة لا ننتهي أبدًا مثلما بدأنا وذلك ما يؤكده الشيوخ وهم

على دراية بأشياء»[1]، وهذا القول تصويرا للواقع المعاش وتضمين رمزي جسّد موضوع الفقر وإظهار ظروف العائلة الجزائرية في تلك الحقبة التاريخية للعالم.

أما لفظة "الفقير" تحيل إلى الأب والتي تعبّر عن معاني ودلالات مختلفة والأهمية التي يحتلها الأب في الأسرة الجزائرية وخاصة الأسرة القبائلية، وترمز إلى عدّة دلالات أوّلها تلك الطبقة المحددة والمحدودة (الفقراء) التي تعكس الخلفية الاقتصادية والتي تعطي لمحة عن الظروف المنشأ فيها.

كما تدل اللّفظة التي ربطناها بشخصية الأب على النضج والتجربة بسبب ظروف الفقر التي تكوّن خبرة في الحياة، ودلالة أخرى تأتي كإشارة لهوية ثقافية معينة وجزء من تاريخ جماعة ومنطقة ينتمي إليها هذا الأب، قرى قبائلية فقيرة

يحيل العنوان إلى فكرة انتقال الفقر من جيل إلى جيل وتأثيره على مستقبل الأبناء، حيث عمل الابن ساعيا لتحسين حاله وحياة عائلته.

واستطاع العنوان أن يخدم منظور الرواية وحبكتها بعدّة طرق، حيث يعكس لنا جوهر القصة والمحاور الرئيسية، فعرف أوّلا بالشخصية الرئيسية محدّدا له بأنّه "ابن الفقير"، ممّا يسلّط ذلك الضوء على خلفية اجتماعية اقتصادية والتحديات التي سيواجهها البطل وكيف تؤثر على تطور شخصيته، كما حدّد لنا الموضوع الرئيسي وهو الفقر لنفهم مباشرة على أنّه القضية الاجتماعية التي سيتم التعامل معها في هذا العمل منتقلا إلى تحديد الإطار الزمني والمكاني (فترة الاستعمار الفرنسي)، الجزائر منطقة القبائل "تيزي هبل". ومن خلال التركيز

[1]–مولود فرعون: **ابن الفقير**، ص 20.

على الفقر الذي يشير إلى البيئة والفترة الزمنية المعينة، بحيث هو السمة الغالبة ليساعدنا في وضع إطار زماني وثقافي للرواية.

يفتح العنوان بابًا واسعًا لاستكشاف القيم الإنسانية الواردة في الرواية والتي تتمثل في الكرامة، الأمل، الطموح، العدالة والصبر لهدف تحقيق النّجاح والتغلب على الصعوبات. ويحمل العنوان عدّة حقول دلالية مرتبطة بالأوضاع المعيشية والحالة المزرية للفقراء، وهذا ما نجده في الجدول التالي:

الكلمة	دلالتها
الفقر	الحاجة، العوز، الحرمان، القلة.
الطبقات الإجتماعية	الفقراء، الأغنياء.
التحديات الاقتصادية	الأجور المنخفضة.
المجتمع	التفاوت الطبقي، الإستعمار، التعاون، التكافل.
الأسرة	الأبناء، الأهل، الأقارب، التربية، المسؤولية، العمل.
القيم الإنسانية	التعاطف، التضامن، الكرامة، الشهامة، الحب، الأخلاق، الكره.
الطموح والتحدي	الكفاح، النضال، الأمل، المثابرة، الطموح.
التعليم والمعرفة	وسيلة للهروب من الفقر، المدرسة، التعلم، المنحة.
الهوية والانتماء	العائلة، القرية، التراث، اللّغة، العادات، التقاليد، اللّباس.
العمل والكدح	المهن البسيطة، الحقول الفلاحية، تربية الحيوانات، الزراعة.
الأمل واليأس	الأمل في مستقبل أفضل، اليأس في واقع مرير.
الظلم	التهميش، الاستعمار، الاستبداد، الصراع.

نستنتج من خلال الحقول الدلالية أنّ العنوان عبارة عن تجربة فردية داخل سياق الفقر، حيث يمثل أبعادًا إنسانية واجتماعية عميقة تسلط الضوء على معاناة الفرد الفقير وكما للفقر تأثير على حياة الفرد وهويته.

إضافة إلى ذلك يعكس لنا بيئة ثقافية تجعل من الرواية مرآة للواقع الجزائري في فترة الاستعمار الفرنسي.

يعكس عنوان "ابن الفقير" دلالات عدّة ويؤكد على الجوانب الحياتية من خلال التركيز على حياة الفقراء والعلاقات الأسرية والصّراعات والأزمات التي تواجهها الشّخصيات في هذا السياق.

فاستطاع تقديم تجربة إنسانية تتمثل في الهوية والانتماء والنضال والكفاح من أجل الوصول إلى واقعٍ أفضل وغدٍ أجمل.

أمّا بالنسبة لعنوان رواية "دوستويفسكي" جاء بصيغة الجمع لكلمة "فقير"، وهي الشعلة التي اندلعت منها باقي المكونات السردية، وتركت بريقها على جميع ثنايا الرواية، وقامت عليها حوارات متعلقة بها وجعلت من لفظة "الفقراء" مركزًا، فارتبط العنوان بالتحولات الاجتماعية والاقتصادية الكبيرة خلال القرن التاسع عشر في اوروبا مثل الثورة الصناعية وتأثيرها على الطبقات الاجتماعية والتغيير السياسي الذي أثر على النظام الاجتماعي، كما تأثرت بالتطورات الفكرية والإيديولوجية المرتبطة بالفلسفة الواقعية التي دفعت استكشاف قضايا الإنسان والمجتمع بشكل أكثر عمقًا.

تنتمي لفظة "الفقراء" في الرواية إلى عدّة حقول دلالية توحي بالأحداث التي تخلّلت الرواية ويمكننا تصنيفها كما يلي من خلال تناولنا للظاهرة المشتركة في الروايتين:

مخطط رقم (03): أشكال وأنواع الفقر

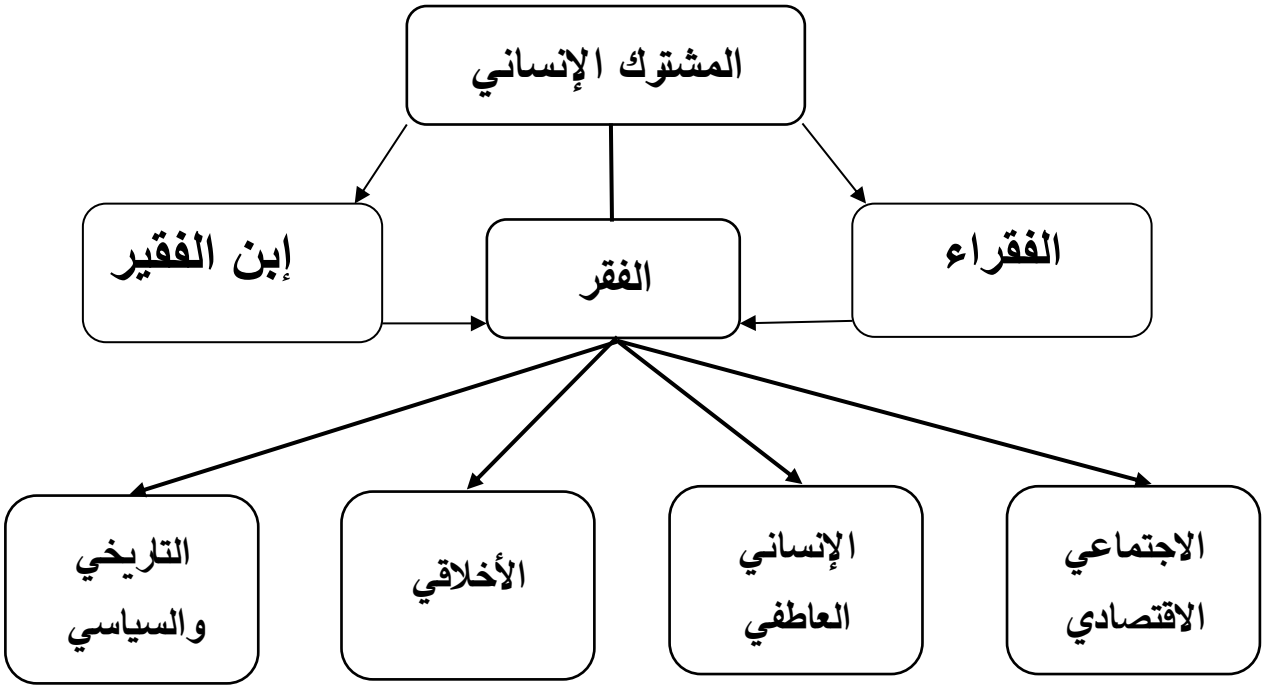

1-الحالة المادية.
2-الطبقة الاجتماعية

1-المعاناة.
2-التعاطف.
3-العزلة والوحدة.
4-الأمل والإيمان.

1-العدالة الاجتماعية.
2-الكرم والإحسان.
3-العمل والتضحية.
4-المراوغة والخداع.
5-التعليم والثقافة.

1-التحولات السياسية.
2-التوزيع الاقتصادي.

ومن الأهمية مما كان أن نتطرق بالتحليل للمخطط المذكور كما يلي:

تناولت الرواية مجموعة من الألفاظ والكلمات يمكن تصنيفها في الحقول الدلالية التي تعكس تأثير الفقر على الأفراد والمجتمع، فعلى المستوى الاقتصادي والاجتماعي اعتمد على عنصرين هامين هما الحالة المادية والتي اختزنت ألفاظها في (الفقر، العوز، الاحتياج) فتشير هذه الألفاظ إلى البناء الاقتصادي الفاسد الذي شجع تشريح المجتمع وخلق مشكلة التفاوت الطبقي، ممّا جعل الفقراء يصلون إلى مرحلة لا يملكون فيها أبسط الموارد لتلبية الاحتياجات

الأساسية، أما بالنسبة للعنصر الثاني، فتمثل في الطبقة الاجتماعية والتي عبّر عنها بألفاظ (كالمساكين، الفقراء، الواهنة، القذارة) وتعبر هذه الألفاظ عن الفئات الاجتماعية التي تعيش على هامش المجتمع بسبب الظروف الاقتصادية الصعبة، وتسلط الضوء على الصّراع الطبقي في المجتمع الروسي وكيف تؤثر هذه الفوارق على الفقراء ومعاناتهم اليومية، من حيث حرمان الأفراد من الفرص والموارد، ممّا يقيّد طموحاتهم وأمالهم.

أمّا على مستوى الإنساني العاطفي عبّرت الرواية عن مشاعر إيجابية وسلبية في نفس الوقت تتجلى من خلالها العلاقات الإنسانية في لحظات التضامن والدعم المتبادل الذي تمثل في التعاطف بين شخصيات الرواية والذي أشار إليه الراوي بكلمات تمثلت في الحب، الرّحمة، الشفقة، الشكر، الدعم، فتتجلى الإستجابة الإنسانية لمساعدة الفقراء والتعاطف معهم من خلال الكلمات المذكورة، وهذا ما تؤكده لنا الرواية في بعض الأقوال التي جاءت على لسان "فارفارا":

- «لولاها لمتنا أنا وأمي من الجوع»[1].
- «قدمت لنا الطعام والشراب وكلّفناها مالاً كثيرًا»[2].
- «تنقذنا من ورطة الديون»[3].

وانتقل الروائي إلى الإشارة إلى العوامل المساعدة في مواجهة مصاعب الحياة وتظهر كيف يمكن للأمل والإيمان أن يكون مصدرًا للقوة والتفاؤل رغم الظروف التي يتعرض لها الإنسان الكادح كقول "ماكار":«غريبة الكيفية التي نعيش عليها الآن أنا وأنت، يا أميمتي! أقصد أنني لم أقضي من قبل أبدا أيام في مثل ما تحفل به أيامنا اليوم من سعادة، وكأنّ الرّب وهبني بيتا

[1]–فيودور دوستويفسكي: **الفقراء**، ص 31.

[2]–المصدر نفسه، ص31.

[3]–المصدر نفسه، ص31.

وعائلة»[1]، ليذكر لنا الجانب السلبي في أحداث الرواية وحبكتها والتي تجلت في معاناة الأفراد واستعمل قرائن دالة على ذلك (كالألم، الحرمان، البؤس، الشقاء) وترتبط هذه الكلمات بمشاعر وتجارب الفرد بسبب الفقر، وتأثيره النفسي مما يؤدي إلى العزلة والوحدة والتي تخلف وراءها (القلق، السأم، اليأس). نجد الشخصيات في الرواية منزوية ومبتعدة عن مجتمعهم، ممّا يسبب عائقًا في التواصل مع الآخرين، «في بيتنا كانت النهارات تمضي في قلق وسأم وكنّا لا نرى حقًا من الأقارب والأصدقاء، أي أحب»[2]، وفي مقطع سردي اخر «نعيش في عزلة تامة»[3].

نجد تمثيل الجانب الأخلاقي مكانة في الرواية فيشير الى الصراع بين الخير والشر والدّعوة إلى التأمل في المسؤولية الاجتماعية اتجاه الفقراء، فالعدالة الاجتماعية المتمثلة في المساواة والإنصاف والحقوق، وهي من المفاهيم الأخلاقية التي تدعو إلى تحسين أوضاع الفقراء، وتمثلت مظاهر الكرم والإحسان في تلبية الطلبات وتقديم الهدايا بين الفقراء رغم قلّة مواردهم لتعكس هذه الأفعال العلاقات الدافئة بين الشخصيات ومثال عن ذلك: «سأشتري لك خيوط الحرير، غدًا سأكون سعيدًا بتلبية طلبك»[4].

برزت الرواية مفهوم العمل والتضحية كوسيلة للنجاة من الفقر، فالإرهاق والعمل المتواصل يعرض لنا كيف يبذل الفقراء جهدًا كبيرًا في تحسين أوضاعهم رغم قلّة العوائد، فنستشهد من خلال قول "فارفارا": «كان يُعلم "ساشا" (...) مقابل ما كان يتلقاه من الطعام والمأوى»[5].

---

[1]–المصدر السابق، ص 83.

[2]–فيودور دوستويفسكي: **الفقراء**، ص 37.

[3]–المصدر نفسه، ص 45.

[4]–المصدر نفسه، ص 84.

[5]–المصدر نفسه، ص 45.

لكن يلجأ البعض الآخر إلى تبني أساليب غير أخلاقية للبقاء كالمراوغة والخداع ومثال عن ذلك في رواية الفقراء "لدوستويفسكي" فالفقر يدفع النّاس إلى اتّخاذ خيارات أخلاقية مشكوك فيها، فتقول "فارفارا": «إنّ مصدر ثروتها ظلّ متلبسا وملغزًا»[1].

وفي قول آخر يحيل إلى الخداع: «لكن طبعها الحقيقي سرعان ما تكشف بالملموس حين اقتنعت بأنّها وحيدة في الدنيا بشكل كلّي»[2].

ومن أجل تحرير القيود الإنسانية كالجهل والفقر والتمكين من تحقيق الذات يتحدث "دوستويفسكي" عن أهمية التعليم والثقافة في الحياة وما لهما من دور ونتائج لهذين الآخرين لتحسين الوضع الاجتماعي والاقتصادي، وهذا إشارة إلى سيرته الذاتية، "فدوستويفسكي" تلقى تعليما جيّدًا في الطفولة، ممّا مكّنه من الإطلاع على الأدب والفلسفة وتطوير موهبته الكتابية، كما أنّه درس الهندسة العسكرية قبل أن يتفرّغ للكتابة الأدبية، وهذا ما صرح به من خلال الرواية «إنّ الأدب شيء رفيع جدًّا يا "فرينكا"، وهذا ما عرفته منذ أول أمس إنّه لا شيء عميق يقوي قلوب النّاس ويغذي عقولهم»[3]، وفي قول آخر يقارن بين الإنسان المتعلم والإنسان الجاهل وإبراز المكانة التي يحتلها كل واحد منهما «أقر لكي بصراحة يا أميمتي، بأني آخذ مكاني بينهم وأصغي إليهم وأنا أدخن الغليوم مثلهم لكنني ببساطة أنمحي حينما يشرعون في مناقشة مختلفة المواضيع»[4].

---

[1]–فيودور دوستويفسكي: **الفقراء**، ص 42.

[2]–المصدر نفسه، ص 43.

[3]–المصدر نفسه، ص 87.

[4]–المصدر نفسه، ص 87.

تناول الروائي الأبعاد السياسية والتاريخية التي تصور واقع روسيا في القرن التاسع عشر، حيث تعكس مشكلة التوزيع الاقتصادي، فالتفاوت الطبقي والصّراع الذي يتسبب به هي من المفاهيم التي ترتبط مباشرة بالأنظمة الاقتصادية وتأثيرها على توزيع الثروة في المجتمع، وتظهر لنا هذه الفوارق من خلال شخصيات الرواية "فأنا فيودورونا" والسيّد "بويكوف" ينعمان بحياة ميسورة ومستقرة مقارنة بالخادمة "تيريز" والعجوز "بوكروفسكي".

تحمل الرواية رسالة مضمرة تحث إلى التغيير والإصلاح والثورة على الوضع تسعى لتحسين أوضاع الشعب خاصة الفقراء من خلال التغيير الهيكلي، وهذا ما حدث بعد فترة من الزمن، وأدى إلى اندلاع الثورة البولشوفية التي أطاحت بالنظام القيصري المستبد.

أطلق "دوستويفسكي" لفظة "الفقراء" عنوانا لروايته لتحمل دلالات وإيحاءات رمزية تنتمي إلى حقول دلالية واسعة يتداخل فيها الاجتماعي، الاقتصادي، الإنساني والعاطفي والأخلاقي، إضافة إلى تشابكها بالبعد التاريخي والسياسي، فتشير هذه التعددية إلى عمق وتعقيد مفهوم الفقر الشامل لحياة الفرد المادية والمعنوية.

سعى الكاتب لتصوير الأحداث ووصفها وصفًا دقيقًا وقعت في روسيا بالتحديد في القرن التاسع عشر، ليرتبط عنوان رواية "الفقراء" بالمضمون، حيث يشير إلى الطبقة الاجتماعية التي يركز عليها العمل الروائي، فاستخدام هذا المصطلح هدفه الإشارة إلى الأفراد الذين يعيشون في ظروف اقتصادية قاسية، ممّا يمهد لتوقع مظاهر ومشاكل الفقر وأثاره، كما ركز أيضا على المشاعر الإنسانية. فعتبة النص بمثابة مرآة تعكس لنا معاناة هذه الفئة من النّاس، ويحمل أيضا النّقد السياسي لأنّ النظام الحاكم سمح بوجود فئة من الشّعب تعاني من الفقر المدقع، ليدعو الكاتب إلى التفكير في الأسباب التي تؤدي إلى هذه الحالة، التي تخلق تباين كبير بين الطبقات الاجتماعية، ليشير ضمنيا إلى الظلم والقهر الاجتماعي والاقتصادي بطبقة الدنيا في المجتمع مقارنة بالحياة الباذخة ومستوى الرخاء الذي توصلت إليه طبقة النبلاء.

نستنتج أن العنوان بسيط ومباشر لكنّه يحمل وزنًا ثقيلاً من الناحية النفسية، ليؤثر ذلك على القارئ ويستكشف بشغف قصص هؤلاء الأشخاص، حيث عالجت الرواية قضايا حقيقية ملموسة، ممّا زاد هذا النهج الواقعي مصداقية للعمل الأدبي.

وفي الأخير نقول أنّ العنوان ليس مجرد إشارة لمضمون الرواية، بل هو بوابة لفهم النقد الاجتماعي والإنساني العميق للكاتب، حيث برز آفة الفقر كواقع قاسي يجب مواجهته، وفي نفس الوقت يدعو إلى التفكير في الحلول الممكنة لتجنبه والخروج منه.

ومن أهم الموضوعات المشتركة بين الروايتين:

1-1-الفقر والتهميش:

تعد كلا الرّوايتين من الأعمال الأدبية التي تتناول الموضوعات الاجتماعية الاقتصادية والإنسانية المشتركة وتستعرض كل منهما جوانب متعددة من حياة الفقراء والظروف القاسية التي يتحدونها من أجل البقاء والاحالة الى الصمود رغم المحن والمتاعب التي تواجهها هذه الشريحة الاجتماعية وحالتها المهمشة ، ففي صميم رواية"الفقراء" نجد تصويرًا" لحياة طبقة الدنيا في روسيا وبؤس أبطالها ، بينما تصور "رواية ابن الفقير حياة الفلاحين البسطاء في الجزائر خلال فترة الاستعمار الفرنسي مبرزا لنا التلاحم والتضامن لتصدي الفقر والنقصان والاستعمار في آن واحد.

1-2-الظلم الاجتماعي:

يتناول الكاتبان الظلم الاجتماعي والاقتصادي الذي يواجهه الفقراء وعدم المساواة ، أين يتمّ تسليط الضوء على الفجوة بين الطّبقات الاجتماعية والظروف غير العادلة التي يعيشها الفقراء بسبب الأنظمة السياسية والخلل الذي يشوبها بالدرجة الأولى، اين لا توفر أبسط الحقوق

التي يستطيع الانسان أن يحصل عليها، والتمييز الذي تتعرض له هذه المجموعات في الحصول على التعليم الجيد والرعاية الصحية الكافية مثلا. ليتسبب هذا الظلم وعدم المساواة في تعزيز دائرة الفقر والعجز، ويتسبب في الانقسامات الاجتماعية ويحد من فرص التقدم الاجتماعي والاقتصادي لهم، بمواجهة الواقع والانشغال به.

1-3-النضال من أجل الكرامة:

تسعى الشخصيات في كلتا الروايتين للحفاظ على كرامتها في مواجهة الفقر والإهانة، حيث تتمثل الكرامة من الروافد الأساسية للإنسان في تشكيل القيم والمبادئ وبناء المجتمعات، وتمثل أيضا نضالات مرطبة بشخوص الروايتين في مواجهة التهميش والتمييز، فنجد شخصية "ماكار" يجسدننا هذا النضال ساعيا للحفاظ على كرامته رغم الظروف القاسية والعواقب الناتجة عنها، ويظهر لنا من خلال رسائله لصديقته" فرفارا "في كل مرة يكتب لها محاولاته المتواصلة للظهور بمظهر لائق والتحلي بالشهامة، وتتجلى هذه الصفة أيضا في تعاطفه وتفانيه في مساعدة الآخرين، مما يعكس لنا هذا الفعل القوة الداخلية التي يمتلكها البطل،أما بالنسبة لرواية ابن الفقير يظهر النضال من خلال الوقوف في وجه الاستعمار واضطهاده، وشخصية "فورولو" الذي بقي يواصل نضاله من أجل التعليم والمعرفة باعتبارها سلاحًا لامادي ضد الاحتلال والنفوذ الاستعماري، وكوسيلة للتغلب على أحوال الفقر، مؤكدا أن الكرامة تأتي من الصمود والثبات أمام التحديات والعراقيل، كما يلعب التمسك في العادات والتقاليد والهوية الثقافية أمرًا جدير في إبراز نضال الشعوب من اجل ترسيخ والحفاظ على كرامتهم.

1-4- البعد الإنساني والمعاناة النفسية:

تبرز الروايتين الجوانب الإنسانية للفقراء ومعاناتهم النفسية، من خلال تجسيد مشاعر الإحباط واليأس، التي رافقت شخصيات الروايتين لأسباب عديدة تسمح لنا أن نغوص في

اعماق نفسياتهم ومشاعرهم وكيف يمكن للفقر أن يكون تجربة تؤثر بشكل عميق على النفس البشرية حيث تتضمن مشاعر العار واليأس والحزن والقلق والإحساس بالظلم لكنهما تحملان الجانب الإيجابي للإنسانية كالتعاون والتضامن والمحبة والاحساس بالغير وتظهر جوانب القوة والكفاح. فالأدب في هاتين الروايتين عمل كمرأة عاكسة للرؤية العميقة للمعاناة وأبعادها المختلفة.

1-5- النقد الاجتماعي:

تحمل الروايتان نقدا صريحًا للأنظمة الاجتماعية والسياسية التي تسبب الفقر، فتتمحور احداثهما حول العناصر المذكورة و المشار إليها سابقا فالنقد الاجتماعي تناول مشاكل وهموم الطبقات المعوزة ، في حين يسلط النقد السياسي الضوء على الظلم السياسي وتأثيراته على حياة الافراد والتحكم بمصيرهم ، فدوستويفسكي ينتقد الأوضاع في روسيا القيصرية من خلال تسليط الضوء على العديد من الشخصيات الفقيرة الرئيسية منها و الثانوية لعرض التفاوت الاجتماعي الكبير في المجتمع فبهذا يعكس لنا قسوة النظام السياسي للقيصر " نيكولاي الأول".

في فترة حكمه التي امتدت من سنة (1825 – 1855) وتميزت هذه الفترة بالسلطوية القمع السياسي، حيث ركز على تعزيز السلطة المركزية والرقابة الصارمة، بما في ذلك الأدب بينما يحدثنا مولود فرعون عن الحالة الاقتصادية والاوضاع الاجتماعية التي كان يعاني منها الجزائريون تحت وطأة الاستعمار، من خلال تسليط الضوء على النقصان الذي انتبذ الشعب من خلال تصوير حياتهم ويوميات الفلاحين، لينتقد من خلالها النظام الاستعماري والسياسات القمعية التي استهدفت الشعب الجزائري، فنستدل من خلال الروايتين عن هيمنة النقد الاجتماعي والسياسي بطريقة شيقة ومختلفة، وتم ذلك عبر تصوير الحياة البائسة للشخصيات واستمرار الشقاء في كل نفس يستنشقونه وربطها بالواقع لنقد النظام الاجتماعي الطبقي في روسيا والنظام الاستعماري في الجزائر.

1-6-الأسرة والعلاقات الشخصية:

تلعب العلاقات الأسرية والروابط الشخصية دورًا مهما في الروايتين، ويتم عرض تأثير الفقر على الروابط العائلية، وكيف يسعى الأفراد لدعم بعضهم البعض رغم الصعوبات. فتتسم العلاقات الشخصية والأسرية في رواية الفقراء بالتعقيد والحزن، انطلاقا من شخصية "مكار" وعلاقته بفرفارا التي تتسم بالعطف والحنان والدعم والاهتمام، والعلاقة المتينة التي تربط البطلة بأمها، وعلاقة العجوز"بكروفسكي"المتوترة بابنه "بانتيكا"، إضافة إلى علاقة "أنا فيدورونا"السيئة بخدامها وغيرها من العلاقات القائمة بين شخصيات الرواية. ومن الناحية الأخرى نجد رواية ابن الفقير التي تبرز العلاقات الأسرية التي تتسم بالتضامن والقرب، حيث يعتمد أفراد الأسرة على بعضهم البعض لمواجهة المصاعب المادية والنفسية، فوالد البطل يعمل بجد لتأمين احتياجات الأسرة،بينما تلعب الأم دورا محوريا في الحفاظ على ترابط العائلة في المجمل، تعكس الروايتان كيف يمكن للفقر أن يأثر على الترابط الإنساني بطريقة سلبية وايجابية وكيف تلعب دورا في الدعم العاطفي والاستقرار النفسي والتواصل والتفاهم.

1-7-الأمل والمقاومة:

بالرغم من الظلم والفقر، نجد أن الشخصيات في الروايتين تحتفظ ببصيص من الأمل والمقاومة، هناك شعور دائم بالرّغبة في تحسين الأوضاع والسعي نحو مستقبل أفضل. كخلاصة القول نقول أن الموضوعات المشتركة تعكس فهم الكاتبين العميق للطبيعة الإنسانية والتحديات التي تواجه الفقراء في مجتمعاتهم من خلال تصويرهم لهذه الموضوعات، ويسعى دستويفسكي وفرعون إلى إلقاء الضوء على المعاناة الإنسانية والمطالبة بالعدالة الاجتماعية.

2-الرؤية المأساوية للحياة:

هي النظرة إلى الحياة المليئة بالصعاب، والألم، والمعاناة، التي لا مفر منها والتي لا يمكن التغلب عليها بسهولة، فيقول "جورج لوكاتش" "George Lukacs": «ولن يقوى الإنسان أن يطأ السبل التي كان يسلكها في الماضي، ولن تتمكن عيناه من كشف اتجاه واحد فيها»[1].

نفهم من خلال القول أن الظروف الاجتماعية والتاريخية في تغيير مستمر، مما يجعل من المستحيل تكرار التجارب السابقة، كما يعكس شعور الإنسان بالضياع وعلى عدم القدرة على تحديد مسار واضح في الحياة، نتيجة لتغيرات الحياة المعقدة، بالإضافة إلى تغيير الهوية الفردية، ممّا يسبّب معاناة وانعكاسات تؤثر على الأفراد، حيث يجدون أنفسهم محاصرون بظروف قاسية، غالبا ما تقويهم إلى مصائر محتومة ومسارات مليئة باليأس، ووفقا للنظرية الأدبية "للوسيان غولدمان" "Lucien Goldman"، نفهم الرؤية المأساوية للحياة باعتبارها انعكاسًا بين الفرد والمجتمع في سياق معين لقوله: «ليست الوحدة المأساوية مقصودة ومنشودة، بل تنتج عن عزل العالم أنه يسمع مجرد صوت نداء جوهري»[2]. فالمأساة نتاج عن عجز الإنسان عن تحقيق ذاته أو تغيير واقعه، فهي تبرز جوهر الإنسان وتكشف عن قدره المحتوم في مواجهة قوى أعلى منه.

وفقا "لغولدمان" الأدب المأساوي يعكس بنية تراجيدية تتسم بالتوتر والصّراع المستمر، بينما يمكن تحقيقه وما هو مستحيل، ومن خلال هذا المنطلق يمكن اعتبار روايتي "الفقراء" و"ابن الفقير" ضمن الأدب المأساوي رغم اختلاف السياقات الثقافية والاجتماعية التي تتناولها، وفي هذين العمليين الأدبيين، تتجلى الرؤية المأساوية من خلال شخصيات تعاني من صراعات

---

[1]-لوسيانغولدمان: **الإله المتحجب: دراسة عن الرؤية المأساوية في "الأفكار"** لباسكال وفي مسرح راسين، تر: عزيزة أحمد وأنورمغيت، ط1، المركز القومي للترجمة، 2015، ص 121.

[2]-المصدر نفسه، ص 141.

وجودية عميقة، تجد نفسها في مواجهة قوى أكبر منها والتي تتمثل في القوى الاقتصادية والاجتماعية، وتعزز هذه البيئة من توسيع دائرة وحلقة المعاناة والحرمان، ونلمس السياق والمضمون المأساوي في رواية الأديب الروسي من خلال تطرقه وتوغله في تصوير حياة الفقر المزمنة في روسيا القيصرية، أين يعيش البطل "ماكار ديفوشتكين" "وفارفار الكسيفيا"، حياة صعبة يتخللها الصراع الداخلي المتمثل في الحفاظ على الكرامة وسط الوضع المادي المالك، وصادف هذه الفكرة من خلال هذا الحديث «نحن لا نرتدي المعاطف لأنفسنا، ولا ننتعل الحزمات لذواتنا وحسب، وإنما من أجل الناس (...) فإن حاجتي للمعطف والحزمة، هي لغاية صون الشرف والحفاظ على السمعة، مادام الحذاء منخورا ومثقوبا ومعطفا مهلهلا وعتيقا. هو الكساد المشترك لهذا الطرف وذاك أيضا (...) يا أميمتي، فهو خلاصة تجربتي الطويلة في الحياة»[1].

تتجلى المأساة في هذا القول من خلال إصرار البطل عن حاجته للمعطف والأحذية التي ليست فقط لتلبية متطلبات الفرد، بل لحماية الشرف والسمعة في نظر الآخرين، وهو بمثابة صراع بين الذات والمجتمع، حيث يؤكد أن الأفعال والتصرفات تتأثر بالضغوط الاجتماعية وهو ما يعد جوهر المأساة. ومن خلال الصّراع الداخلي الذي تسببه البيئة للأفراد كالاضطرابات النفسية والعاطفية، وما يؤدي إلى فقدان الدافع لتحقيق الهدف أو الفعل فتحمل أحد رسائل من "ماكار" مثلا عن ذلك وهو «تقاطعت مع فريق العمال، وكانت ملابس أفراده شديدة القذارة، وحين تقاطعت مع هؤلاء الأفظاظ الغلاظ، دفعوني بقوة! شعرت جراء ذلك بالإهانة، فتملكني الانزعاج، ثم سيطر علي ذلك الإحساس بالكراهية لكل شيء،حتى أنني لم أعد بعد ذلك أبدا ارغب في التفكير في مسألة المال»[2]. تتضح المأساة في القول من خلال

[1]–فيودور دوستويفسكي: **الفقراء**، ص 144.

[2]–المصدر نفسه، ص 145.

الصراع الداخلي الذي يعاني منه الشخص، بعد تقاطعه مع فريق العمال، أنسبوا له الشعور بالإهانة نتيجة لمظهرهم القذر، وهذا ما خلق في أعماقه كراهية اتجاه كلّ شيء، ممّا يعكس حالة من اليأس، وفقدان الأمل، حيث أصبح التفكير في المال الذي اعتبره البطل رمز للنجاة من مأساته، غير ذي جدوى، فهذه الأفعال تجعل الفرد يبتعد عن المجتمع بسبب التجارب السلبية التي مرّ بها. بالتالي يعكس الاقتباس كيف تؤثر الظّروف الاجتماعية على الحالة النفسية للفرد، ممّا يجملها تجربة مأساوية.

تظهر لنا الفلسفة التشاؤمية التي تعتبر من أبرز التعبيرات عن هذه النظرة من خلال القولين، حيث ركزا على السلبيات وتعارضا مع التفاؤل، فالتشاؤم موقف يتحدى فكرة التقدم ويعتبر أن الحياة تفتقر إلى المعنى والقيمة الجوهرية ولقد اعترف "آرثر شوبنهاور" " Arthur Schopenhawer": «بأن سعادة الإنسان تتوقف على الإنسان نفسه أكثر من توقفها على الظروف الخارجية واستمد شوبنهاور فلسفته، كما يرى البعض من مزاجه العصبي وفراغ حياته وعزلته ووحدة انطوائه على نفسه، الذي طبع حياته بطابع السأم والملل المعتم القاتم»[1]، يحمل القول فلسفة عميقة تتعلق بالتحكم في مصير الفرد وسعادته، حيث تعتمد سعادة الفرد بشكل كبير على كيفية استجابته للظروف المحيطة به، بمعنى آخر يمكن للإنسان أن يجد السعادة من خلال تغيير طريقة تفكيره وتفاعله مع التحديات بدلاً من انتظار الظروف المثالية، كالمال والنجاح الاجتماعي، لأن انبعاث السعادة الحقيقية تكمن من خلال التفكير الإيجابي، إذن فلسفة "شوبنهاور" تؤكد لنا كيف تأثر الحالة النفسية على الرؤية العامة للحياة، فالعزلة أحد أسباب التفكير الزائد، ممّا يصوّر لنا الصّراع الداخلي الذي يعيق سعادة الفرد.

[1]–رفيق غريري: **شوبنهاور وفلسفة التشاؤم**، ط1،دار الفرابي،لبنان–بيروت،ش\ 2008، ص 15.

تحمل رواية "ابن الفقير" رؤية مأسوية عبر الشخصية الرئيسية "فورولو" والأحداث التي تعرض لها، فهو يواجه واقعًا قاسيًا يجعل من الصعب التفكير بكيفية مأساوية اتجاه الحياة، خاصة في فترة حساسة أين كان المستعمر الفرنسي قد بسط مخالبه على كلّ شيء، يمكن أن نرى تجليات المأساة من خلال صراع "فورولو" بين طموحاته العلمية والواقع المعيشي لعائلته، وهذا ما نجده من خلال قوله: «كان فورولو المنغمس تماما في دراسته، يجهل المأساة التي تعيشها عائلته، ففي سن السادسة، كان يعرف كيف يرسم مستقبله على النظريات الهندسية والمعادلات الجبرية، في حين كان رفاقه يهتمون خصوصا بزينتهم»[1]. تبرز الرؤية المأساوية من خلال الشعور بالعزلة والجهل بمعاناة الآخرين، فانغماس البطل على دراسته يجعله بعيدا عن الواقع المؤلم لعائلته، ممّا يعكس مأساة الفشل في تحقيق التوازن بين الطموح والواقع، ممّا يزيد من عمق المأساة، بينما يعكس الفجوة بين الأجيال من خلال الاهتمامات المختلفة. فالنظرة المأساوية للحياة تم تحديدها من خلال تصوير الصّراع الداخلي والخارجي الذي يعيشه البطل، ممّا يجعله رمزًا للشخصيات التي تعاني من الفقر والضياع.

إذن الصراع النفسي من المؤثرات على نظرة الفرد للحياة، ممّا يجعلها تجربة مأساوية. ومن الأحاديث التي قابلناها في الرواية، تحمل النظرة المأساوية للحياة كيف يمكن أن تؤدي الظروف القاسية إلى الشّعور بالجمود نحو استمرارية العيش والبقاء، فيقول "فورولو" عن خالته: «كلّ ما كان فيها يشبه الحيوان خلا عقلها الذي لم يعد لديها. وبالمقابل فإن أمي كانت تنهك وتضمر، كان جيراننا يشفقون عليها غير أن الشفقة لم تكن تجد لها نفعًا. توقفنا عن التذمر من خالتي لأننا رأينا أن ... أضحينا نتمنى الخلاص منها كانت طبيعية ذلك الخلاص»[2].

---

[1]–فيودور دوستويفسكي: **الفقراء**، ص 128.

[2]–مولود فرعون: **"ابن الفقير"**، ص 92–93.

تظهر لنا المعاناة من خلال فقدان الوعي والإنسانية، فالبطل يعبر عن اليأس من الوجع الصحي (العقلي) لخالته، التي أدت بالأم إلى المعاناة والانهيار، حيث أنهكت وأضمرت.

أما شفقة الجيران تمثل عدم القدرة على تقديم المساعدة الفعلية، ممّا يبيّن لنا أنّ الشفقة لا تكفي لتغيير الواقع المرير، وفي الأخير يعبر البطل عن تمنيه للخلاص من الخالة رمزًا من المعاناة.

يتجلى في القول كيف يمكن أن تؤدي الظروف القاسية والصراعات الداخلية إلى تشكيل نظرة مأساوية للحياة تتسم بالأسف والعجز أمام قسوة الواقع.

انطلاقا إلى ما تطرقنا إليه أعلاه نستنتج بأن الفقر ليس عيبًا ولكنه مذلّ، فهو سرطان المجتمعات، فما إن يعز مجتمعا ما حتى تكثر كلّ أنواع المآسي فيه، ولا تفلح الجهود المبذولة لمكافحة هذه الآفة التي تفتك بكافة فئات المجتمع خاصة الطبقة الكادحة.

3-تداعيات السلوك الاجتماعي وتشريح المجتمع:

إن السلوك الاجتماعي يتكون نتيجة تفاعل الفرد مع الآخرين ضمن ظروف ومواقف الحياة في الأسرة والمجتمع «فحياة الإنسان وشعوره بذاته رغم أنّها تولد منفصلة عن ذوات الآخرين، إلاّ أنّها تتأثر بهم ولا تفصح عن إمكانياتها إلاّ ضمن البيئة الاجتماعية التي تحدّدها، وهذا ما يجعل الأنا الفردية أنا اجتماعية في صميمها وجورهرها»[1]، أي أن حياة الإنسان وشعوره بالذات ينشأ من تفاعل الفرد مع الآخرين، رغم أنّ كلّ إنسان يولد منفصلا، فهذا

[1]-ليلى داود وأحمد الأصفر: **الجماعة وخصائص التفاعل الاجتماعي**، جامعة دمشق، 2024، معتز عبد الله، **بحوث في علم النفس الاجتماعي والشخصية**، دار غريب، القاهرة، ص11.

التفاعل الاجتماعي هو ما يحدّد إمكانيات الفرد ويشكل هويته، ممّا يجعل الأنانية الفردية متجذرة في البعد الاجتماعي.

فالإنسان ليس كائنًا معزولاً بل هو نتاج البيئة الاجتماعية التي يعيش فيها، ممّا يعكس الطبيعة الاجتماعية للوجود الإنساني. فالإنسان رغم انفصاله عن الآخرين يتأثر بتفاعلاته الاجتماعية، ممّا يساهم في تشكيل وعيه الذاتي، فهذه الديناميكية تعكس أن الفردية ليست مجرد تجربة شخصية، بل هي نتاج تفاعلات معقدة مع المجتمع، حيث تلعب الروابط الاجتماعية دورًا أساسيًا في تطوير القيم والمعايير التي تحدد سلوك الأفراد.

والسلوك عمومًا نقصد به «كلّ أوجه النشاط التي يقوم بها الفرد والتي يمكن ملاحظتها مثل حركات الفرد وطريقة استخدامه للغة وتخيلاته وقدراته وإيماءاته»[1].

فنفهم من هذا المفهوم أنّ الفرد يتفاعل مع المجتمع من خلال أوجه نشاطه المختلفة سواء كانت تطوعية أو فكرية، وتؤثر هذه الأنشطة في المجتمع وتتأثر به، ممّا يؤدي إلى تشكيل هوية الفرد والمجتمع معًا.

وهذا ما نتطرق إليه من خلال روايتي "الفقراء" لدوستويفسكي و"ابن الفقير" لمولود فرعون، حيث تناولنا موضوع مشترك يتعلق بالتركيز على الظروف الاجتماعية على الأفراد والمجتمع. فيستكشف دوستويفسكي في "الفقراء" تداعيات السلوك الاجتماعي وتشريح المجتمع من خلال تصوير حياة الطبقة الكادحة والمهمشة في روسيا في القرن التاسع عشر. ويعكس الروائي في روايته كيف تؤثر الظروف الاجتماعية الصعبة على سلوك الأفراد، كون البطلان يتبادلان الرسائل التي تعكس معاناتهم اليومية. وهذا ما صرح به "ماكار": «أنا في الحقيقة

[1]–محمود عكاشة، محمد شفيق وعبد الرحيم مراكش: **ملخص وكتاب السلوك الاجتماعي: علم النفس الاجتماعي وتطبيقاته**، فبراير 2021، ص 10.

غالبا ما أبخس من قدر نفسي يا عزيزتي دون أي سبب معلوم وأقدر قيمتها بأقل قرش واحد وأدنى كثيرا من أي حثالة ممكنة وإذا جاز بي أن أعبر عن ذلك بطريقة تعتمد على المقارنة أقول بأنّ هذا راجع ربما لكوني أعاني أنا بالذات من كوني كائن بائس ومحبط وخجول»[1]. فهذا القول يعكس انعدام الثقة بالنفس والشعور بالإحباط والدونية، فهذا المقطع يصف حالة نفسية تتسم بالاحتقار الذاتي والشعور بالنقص والخجل، وهذا راجع إلى الضغوطات النفسية والاجتماعية التي تؤثر على الهوية الفردية.

فهذا النوع من السلوك يبرز تأثير المجتمع على الفرد وكيف يمكن أن يؤدي الرفض أو التهميش الاجتماعي إلى تشكيل صورة سلبية على الذات. ضف إلى قول آخر "لماكار": «ثم هناك الأغنياء كذلك الذين لا يحبون أن يشتكي الفقراء أمامهم حظهم العاثر بصوت مرتفع إنهم كائنات مزعجة وملحاحة تأتيك في الوقت غير مناسب يقولون أجل أن الفقر يأتي دائما في الوقت غير المناسب ألا يمنع أنين الجوع استلذاذ الكائنات الشبعى بالنوم الجميل»[2]. فمن خلال هذا المقطع اتضح لنا موقف الأغنياء من شكاوى الفقراء نظرتهم إليهم أنّهم "كائنات مزعجة وملحاحة"، فهذا الموقف يعكس عدم التعاطف والاهتمام بمعاناة الطبقات الفقير من قبل الأغنياء، فهذا السلوك يظهر كيف أن الأغنياء يستمتعون بامتيازاتهم دون الإكتراث بالطبقات الأقل حظًّا في المجتمع.

فيظهر هذا المقطع سلوك الأغنياء تجاه الفقراء يعكس تفاوتًا اجتماعيًا وانعدامًا للعدالة، فهذا السلوك يبرز الحاجة إلى إصلاحات اجتماعية وسياسية لمعالجة الفجوات الطبقية والنظر إلى معاناة الفقراء بجدية.

[1]–فيودور دوستويفسكي: **الفقراء**، ص 173.

[2]–فيودور دوستويفسكي: **الفقراء**، ص 173.

وفي سلوك آخر من الرواية يشير إليه "ماكار": «من يكون ذلك الرجل وأولئك النّاس الذين يستمعون بشتم طفلة يتيمة والحط من كرامتها أن هؤلاء الكائنات فاسدة وليسوا بشر، كائنات متظاهرة بالوجود بينما هم في الواقع غير موجودين»[1]. يظهر هذا السلوك أن الظروف الاجتماعية القاسية تؤدي إلى انحرافات أخلاقية، ففي هذا المقطع يصف مجموعة من الأشخاص الذين يستمعون بشتم طفلة يتيمة، مما يعكس فساد القيم الإنسانية في المجتمع. ويبرز سلوكًا اجتماعيًا منحرفًا، حيث يتظاهرون بالوجود الأخلاقي بينما هم في الحقيقة يفتقدون للإنسانية.

نلاحظ من خلال رواية "دوستويفسكي" "الفقراء" تداعيات السلوك الاجتماعي يتجلى من خلال تصوير العلاقات الإنسانية المعقدة بين الشخصيات والتي تعكس الفجوة الطبقية والتفاوت الاجتماعي، وتعكس اقتباسات الرواية أن الفقر ليس مجرد حالة اقتصادية، بل هو تجربة إنسانية تؤثر على الهوية والتقدير الذاتي، وتبرز الرواية أنّ الألم والمعاناة يمكن أن تكون معدية، حيث يتجنب الفقراء بعضهم البعض لتفادي زيادة آلامهم فمن خلال هذه الديناميكيات يظهر "دوستويفسكي" الحاجة الملحة لتعزيز القيم الإنسانية والتضامن الاجتماعي، ممّا يسهم في بناء مجتمع أكثر عدالة وإنسانية.

وانتقالا إلى رواية "ابن الفقير" "لمولود فرعون" يتضح تأثير الفقر على السلوك الفردي والعلاقات الاجتماعية بشكل واضح، ويظهر الأفراد في ظلّ الظروف القاسية بسلوكيات تتسم باليأس والإحباط، ممّا يدفعهم إلى اتّخاذ قرارات غير أخلاقية للبقاء، كما تتأثر العلاقات الاجتماعية بشكل كبير، حيث تؤدي الضغوطات الاقتصادية إلى تفكيك الروابط الأسرية والاجتماعية، ونستشهد من خلال الإقتباس ويتمثل في: «كان لابد من الإستدانة ليشتري له

[1]–المصدر السابق، ص 172.

لباسًا لائقًا ويدفع له مصاريف الإقامة بالجزائر العاصمة»[1]، فيعكس هذا القول تداعيات السلوك الاجتماعي وتشريح المجتمع بشكل واضح، فالقول يظهر الضغط المالي الذي يعاني منه الشخص، ممّا يدفعه إلى الاستدانة كوسيلة للتغلّب على الظروف الاقتصادية الصعبة، فهذا السلوك يعكس أيضا التحديات الاجتماعية التي يواجهها الأفراد في سعيهم لتحقيق مكانة اجتماعية مقبولة، مثل شراء لباس لائق، كما نجد أيضا القول يبرز الفجوة بين الطبقات الاجتماعية، حيث العيش في المدينة مثل الجزائر العاصمة، يتطلب موارد مالية قد لا تكون متاحة للجميع فهذا يعكس التفاوت الاجتماعي والإقتصادي في المجتمع، ممّا يؤدّي إلى تدني السلوكيات مثل الإستدانة كوسيلة للبقاء على قيد الحياة وتحسين الوضع الاجتماعي.

إضافة إلى قول آخر من الرواية: «كان قد تعب كثيرا من المقاومة وغدت الأوقات صعبة أكثر فأكثر، لقد تخلص من حمل العالة على حساب الدائن الأكثر طلبا والذي بدوره وفي الوقت المطلوب يصنع الحمل الذي زاده ثقلا بتصرفاته على الأكتاف الطرية "لفورولو"»[2]. يعكس الفقر والظروف القاسية إرهاق الشخصية الرئيسية، ممّا يجعل الأوقات أكثر صعوبة، ويظهر تأثير الفقر على النفس البشرية ويؤدي إلى سلوكات سلبية. ويشير إلى الشخصية أنها مسؤولة عن إعالة العائلة، كما يعكس الضغوط الاجتماعية والمعايير المفروضة على الأفراد، فهذا الصراع بين العائلات والديون تبرز تأثير المجتمع على سلوك الفرد.

وكمثال أخير من الرواية: «لقد شهدت والدتي وفاة أخيها وأخواتها ثم والدها، فقد ألفت الأحزان والصمت، إنّها تشبه شجر البلوط الذي ينمو على ضفاف الطرقات، مصرة على التثبت رغم العواصف والمعز الذي يرعى عليه بحرية وفؤوس الرعاة التي تبتره دون رحمة»[3]،

[1]–مولود فرعون: "**ابن الفقير**"، ص 134.

[2]–مولود فرعون: "**ابن الفقير**"، ص 134.

[3]–المصدر نفسه، ص 86.

إنّ تأثير الفقر والصدمات النفسية على السلوك الفردي، يؤدي فقدان والدتها وأحبائها وإلى انطوائها وتغيير سلوكها. فمن خلال تشبيه الشخصية بشجرة البلوط يبرز الكاتب قوة الشخصية وصمودها في مواجهة الظروف القاسية، ممّا يعكس تأثير البيئة الاجتماعية والاقتصادية على تشكيل سلوك الأفراد.

يعكس القول تداعيات السلوك الاجتماعي من خلال تصوير تأثير الفقد والحزن والبيئة الاجتماعية على سلوك الشخصية، وكيف تتفاعل معها في ظل ظروف قاسية.

ختاما تتجلى تداعيات السلوك الاجتماعي وتشريح المجتمع بشكل واضح في روايتي "الفقراء " "لدوستويفسكي" و"ابن الفقير" "لمولود فرعون"، حيث يقدم الكاتبان رؤية عميقة حول تأثير الظروف الاجتماعية والاقتصادية على سلوك الأفراد. ففي "الفقراء" يتناول "دوستويفسكي" معاناة الطبقة الكادحة من خلال شخصيتين رئيسيتين تعكسان الظروف اليومية للفقراء، ممّا يؤدي إلى شعور بالاغتراب واليأس نتيجة تأثير الفقر على العلاقات الإنسانية والسلوك الفردي. أما في "ابن الفقير" يبرز "مولود فرعون" تأثير الفقد والأحزان على الشخصية الرئيسية مشددًا على قوة الصّمود رغم الظروف القاسية. كما يعكس فرعون قسوة المجتمع وعدم اكتراثه بمعاناة الأفراد، ممّا يزيد من شعور الاغتراب، فتتقاطع الروايتين في تقديم رؤية عميقة حول كيفية تأثير الظروف الاجتماعية والاقتصادية في أهمية التعاطف وفهم معاناة الآخرين.

4-الكتابة انتقاء للمجتمع:

يعتبر الأدب أحد أسمى أشكال التعبير الإنساني، حيث يجسد التجارب الإنسانية والمشاعر والأفكار التي تعكس واقع الحياة، إذ يتمكن الأدباء من استكشاف أعماق نفس البشرية وتقديم رؤى جديدة حول القضايا الاجتماعية والثقافية والسياسية وغيرها من خلال الكتابة، ويتجاوز الأدب حدود الزمن والمكان ليكون جسرًا يربط بين الأجيال والثقافات المختلفة،

ممّا يعزّز التفاهم والتعاطف بين النّاس، فهو تعبير فني تتعدّد أشكاله بدءًا من الرواية والشّعر وصولاً إلى المسرح والنثر وكل شكل يحمل في طياته أسلوبه الخاص ورسالته الفريدة، لذلك يعتبر الأدب: «ظاهرة إنسانية لها مقوماتها وعناصرها وعلاقاتها التفاعلية مع الظواهر الإنسانية الأخرى»[1]. وللأدب جوانب عدّة، بحيث يستخدم اللّغة بشكل إبداعي لنقل الأفكار والمشاعر، ممّا يجعله وسيلة للتعبير عن الذات والتفاعل مع العالم، كما يعكس تجارب البشر في مختلف جوانب الحياة بما في ذلك الحب، الفقر، الألم، الآمال، المرض...إلخ، ممّا يساهم في فهم أعمق للإنسانية، وهو أيضا أداة فعّالة للنّقد والتغيير وعاكس للتنوع الثقافي واللّغوي، ونجده أيضا قادر على إثارة المشاعر والتأثير ممّا يجعله وسيلة للتواصل والتفاعل.

ويتم هذا من خلال الكلمات التي يتمكن الكُتَاب بنقل آرائهم ورآهم حول العالم، لتساعد الكتابة في تشكيل الوعي الاجتماعي وكيف يُمَكِن الأدب أن يسهم في فهم وتفسير تحديات وتعزيز القيم الإنسانية وحسب أبحاث السوسيونقدية "لميخائيل باختين": «الأدب والرواية ملتقى خطابات مشبعة والمثمنة إيديولوجيا يتم تحويرها وتحويلها في الشكل الروائي»[2].

فيمكن تحليل هذا القول عبر ثلاث نقاط: فتتمثل النقطة الأولى في الأدب كملتقى للخطابات، فتعمل الرواية خاصة كمنصة تجمع بين مختلف الخطابات الثقافية والاجتماعية من خلال الشخصيات والأحداث فيتمكن الكاتب في تقديم وجهات نظر متعدّدة حول القضايا المصاغة.

[1]–عبد الحميد بوزونية: **ظاهرة التطور الأدبي بين النظرية والتطبيق**، د.ط، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1979، ص 39.

[2]–سامية إدريس: **تمثيل الصراع الرمزي في الرواية الجزائرية (دراسة في علم الاجتماعي النصّ الأدبي)**، ط1، منشورات ضفاف، بيروت، لبنان، 2015، ص29.

والنقطة الثانية هي التطرق للإشباع والتثمين الإيديولوجي، فعندما نقول أنّ الأدب مشبع ومثمن إيديولوجيا فإنّ ذلك يعني الرواية لا تعكس فقط الواقع بل تعيد تشكيله من خلال تقديم أفكار معينة لنقل الأفكار والرؤى، ممّا يؤدّي إلى إشباع النصوص بالمعاني والدلالات التي تعكس الظروف والقيم والمعتقدات السائدة في المجتمع.

أما بالنسبة للنقطة الثالثة والأخيرة تتمثل في التحوير والتحويل في الشكل الروائي اللّذان يشيران إلى كيفية إعادة صياغة الأفكار والمفاهيم في سياق روائي بتعديل وتكييف الخطابات الإيديولوجية لتناسب السياق الروائي ويمكن لهذا الفعل أن يكون وسيلة لانتقاد المبادئ والقوانين والإيديولوجيات السائدة أو لتقديم بدائلها.

تمثل روايتي "الفقراء" و"ابن الفقير" دراسة عميقة للظروف الاجتماعية والنفسية التي يعيشها الفقراء، فتعكس لنا الرسائل المتبادلة بين شخصية "ماكار" و"فارفارا" المعانات واجتهادهم الخروج منها، كما أشارت أيضا إلى الأماكن خاصة المدينة التي ظروفها صعبة للبقاء فيها محللاً وواصفًا بالتفاصيل الدقيقة التي تبرز وتلعب دورًا هامًا في الرواية لإظهار آفة الفقر، وكما هو الحال لرواية "ابن الفقير" فشخصية "فورولو" وعائلته يعكسون لنا تأثير البيئة الاجتماعية على الأفراد بشكل واضح، والنشأة في وسط فقير يعرض لضغوطات نفسية واجتماعية والتي تؤثر على السلوكات والطموحات، وكيف أن الفقر يحدّ من خياراتها ويجعله يشعر بالعزلة والقلق، وكما يشير إلى سعيه لتحسين وضعه والرغبة في الهروب من قيود البيئة المحيطة به، "ففورولو" هنا يشكل لنا رمزًا لصراع بين الطموح والواقع القاسي.

يعد العملين الأدبيين محاكاة للواقع المعاش خلال القرن التاسع عشر (19) و القرن العشرين (20) لبيئتين مختلفتين من حيث الدين، اللّغة، المعتقدات، كما تناولا كل ما خُلِف جراء الفقر كسوء المعاملة، المرض، الاستعباد، التعاون...إلخ، وبهذا ارتبطت الروايتين بالنقد الاجتماعي والسياسي والاقتصادي لكلا البلدين (الجزائر وروسيا)، لتتطور حركة النقد الأدبي

بشكل كبير خاصة في أوروبا والعالم العربي وبدأ النقاد في تطبيق مناهج نقدية متقدمة لتحليل الأعمال الأدبية التي تتناول مواضيع حساسة خاصة الفقر والعدالة.

سعى المؤلفان إلى تمجيد القضايا الإنسانية والاجتماعية من خلال الروايتين التي لاقتا رواجًا كبيرًا، بحيث يعتبر الفقر من المسائل المشتركة عالميًا ومن المآسي الكبرى والعميقة التي تتجاوز الأبعاد الاقتصادية. لتثبت لنا صحة مقولة: «الأديب هو ابن بيئته»، فهو«يتأثر بها كما يؤثر فيها ليس فقط بين الباحثين الأدبيين وطلاب الأدب بل حتى بين العامة»[1]. يذهب هذا القول إلى تحديد الميزة التي يتصف بها الأدب حيث يتناول جميع المواضيع الخاصة بالإنسان والإنسانية وبأنّه شامل لقضايا الحياة ومنها آفة الفقر.

ففي جميع أشكالها وأنواعها تمثل تحديًا كبيرًا للبشرية، ممّا يؤدي إلى تراجيديا حقيقية، فيمكن أن ننظر إليها من عدّة جوانب فتاريخيا يعود إلى العصور القديمة ولذلك يعتبر من الأسباب الرئيسية لظهور العديد من الثورات والحركات الاجتماعية، أما من خلال النظرة الثقافية، فهو من المواضيع الشائعة في الأدب والفنون التي استطاعت أن تعبر عن مأساة من خلال طرق كثيرة كالتمثيل الواقعي، حيث يمكن للأدب أن يكون صورة طبق الأصل للواقع الاجتماعي، بما في ذلك الأبعاد النفسية، الفكرية والشعورية والمادية.

فتطرحه الأدبيات الكلاسيكية على أنّه محاكاة لأفعال الطبيعة، إذ" «يرى أنّ الأدب تقليد مُقَنَنْ للواقع، والعلاقات بين الأدب والواقع هي علاقات تقليد لنموذج»[2].

---

[1]–روبير اسكاربيت: **سوسيولوجيا الأدب**، تر:أمال أنطوان عرموني، ط3،عويدات للنشر والطباعة، لبنان–بيروت، 1999، ص6.

[2]–سامية إدريس: **تمثيل الصراع الرمزي في الرواية الجزائرية**، ص 34.

بمعنى أن الأدب يعكس ويقتبس من الواقع والعلاقة بينهما تكون علاقة تقليد، حيث يستوحي الكتاب أعمالهم من الواقع ويصورون بطرق مختلفة داخل كتاباتهم.

أما عند "لوكاش" نجد مفهوم الواقعية يقابله مفهوم النّمط: «النمط (...) تركيب أصيل يجمع عضويا بين العام والخاص (...) إنّ النّمط تمثيل أقصى للحالات القصوى التي تسم في نفس الوقت ذروة وحدود كلية الإنسان والعصر»[1].

يقصد مفهوم الواقعية عند الكاتب الفرنسي "جورج لوكاتش" إلى أنّ النمط الأدبي هو نوع من التركيب الأصيل، حيث يجمع بين العام والخاص بشكل عضوي، يعني ذلك أن الكاتب يستخدم اللّغة والأسلوب بطريقة تجمع بين العالم العام والتفاصيل الشخصية، ممّا ينتج عنه تمثيل شديد الواقعية للحالات القصوى التي تصل في نهاية المطاف إلى ذروتها، وبهذا الشكل يتجاوز النمط الأدبي حدود الفرد والزمان، ممّا يجعله يمثل بشكل كامل الحالة الإنسانية والعصر التي ينتمي إليها.

ويؤيد "قولدمان" أنّ العمل الأدبي لا يفصل عن المجتمع فهو: «يعتبر أنّ الذّات الفاعلة المبدعة تكون معبرة عن الفئة المنتمية إليها أو الطبقة التي تمثلها»[2].

من خلال محتوى القول نفهم أنّ العمل الإبداعي يحمل في طياته حقيقة المجتمع وأن الذّات المبدعة تعبر عن الطبقة الاجتماعية التي تنتمي إليها وكيف تكون هذه الأعمال وسيلة للتعبير عن التجربة والقضايا الخاصة، تلعب الكتابة والأدب دور الضّوء الذي يتم تسليطه على المسائل المتعلقة بالإنسان، ولهذا نجد معظم الأدباء الناجحين في مسيراتهم، هم الذين

[1]–مرجع سابق، ص 34.

[2]–لوسيان غولدمان وآخرون: **البنيوية التكوينية والنقد الأدبي**، تر: محمد سبيلا مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، لبنان، ط2، 1986، ص ص 14–15.

جعلوا من الكتابة انتقاءً للمجتمعات التي ينتمون إليها. وعرفوا كيفية استغلالها بطريقة مثالية لنقل الواقع وسرد الأحداث، وذلك بمزج بين الصورة الخيالية والواقعية التي تنقل إلى الفضاءات الأخرى.

فيؤكد لنا "هنري مترو" "Henri Mitterrand" أنّ الرواية: «بطبيعتها تفرض الخيال، ابتكار الشخصيات والمواقف الخيالية، وهي تفرض كذلك إنشاء نظام للوقائع»[1].

نفهم أن الخيال مظهر من مظاهر التمثيل الأدبي يسمح بالتفكير في الوقائع بمنظور خيالي والذي يسمح برصد المعاناة والتجارب المأساوية وهذا ما نجد "دوستويفسكي" و"مولود فرعون" استعانا به في روايتيهما، فالشخصيات خيالية لكنها تمثّل الواقع ومشاعر الحزن والقلق والألم في مجتمعين مختلفين لتكتسب الرواية دلالاتها الحقيقية من قدرتها على تصوير المأساة وعبر شخصيات خيالية تعكس الواقع الاجتماعي القاسي، وهذا ما أشار إليه قولدمان: «لا تكتسب فكرة ما، أو عمل ما، دلالاته الحقيقية إلاّ عندما يندمج في المجموعة من حياة أو سلوك ما أضف إلى ذلك قد يحصل غالبا أن يكون السلوك الذي يسمح بفهم العمل ليس سلوك الكاتب بل سلوك مجموعة اجتماعية ما (...) أو بتحديد سلوك طبقة اجتماعية معينة»[2].

القول يفسر أنّ الفهم الصحيح لفكرة أو عمل م لا يأتي إلاّ عندما يتم دمجه في سياق أو سلوك يمثل مجموعة معينة من النّاس، بمعنى آخر يكون الفهم الصحيح للعمل أو الفكرة مرتبطًا بالسياق الاجتماعي أو الثقافي الذي نشأت فيه هذه الفكرة أو حدث هذا العمل.

---

[1]–سامية إدريس: **تمثيل الصراع الرمزي في الرواية الجزائرية**، ص 35.

[2]–لوسيان غولدمان: **الإله الخفية**، تر: الدكتورة زبيدة القاضي، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، د.ط، 2010، ص 32.

استطاعت الكتابة أن تكون انتقاء للمجتمع من خلال وصفه بشكل عميق ومؤثر والتركيز على تصوير الطبقات الاجتماعية المختلفة والتناقضات بينها واستعراض الفقر والظلم الاجتماعي من خلال شخصيات متنوعة اتسمت بالتعقيد وصراعها من أجل البقاء والحفاظ على كرامتها.

فعندما يكتب الكاتب عن مجتمع معين فإنّه يختار موضوعات والأحداث التي تخدم المحتوى، وعملية الانتقاء تشمل اختيار القضايا التي أراد الكاتب استكشافها، فتتمحور انتقاءات "دوستوفسكي" حول الطبقات الاجتماعية في روسيا القيصرية وتأثير الفقر والظلم على حياة الأفراد. أما انتقادات "مولود فرعون" تمثلت في تركيزها على الاستعمار المستبد وما سببه كفقر وتحليل الطبقات الاجتماعية، باستخدام أسلوب مناسب في الكتابة للوصول إلى ذروة التأثير الإيجابي أو التوعوي أو التحفيزي بحسب الغرض للكتابة.

مخطط رقم (04): الحلقة الدائرية للأدب

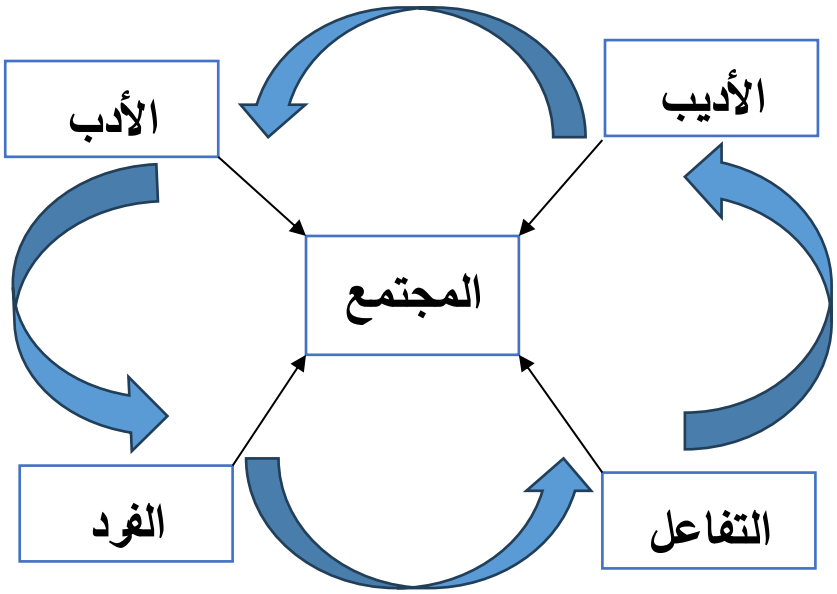

الأديب ينطلق من المجتمع ويعود إلى المجتمع من أجل تصحيح المجتمع فهو يعكس قضايا وهموم هذا الأخير مما يجعل الأدب وسيلة لفهم الواقع الاجتماعي، فالأدب ليس مجرد إنتاج فردي بل هو تفاعل بين الأديب والفرد حيث يتأثر الفرد بما يقرأه ويختبره مما يجعله يرد على الأدب بتفاعلات مختلفة. يمكن تصور الحلقة الدائرية للأدب على أساس استلهام الأديب لأدبه من المجتمع ليأثر به على الفرد من أجل إعادة تشكيل المجتمع من جديد، إذ يعتبر الأدب محفزًا لتغيير الإجتماعي. وبهذه الطريقة يمكن فهم الأدب كحلقة متصلة بين الأديب والمجتمع والأفراد، حيث يتفاعل الجميع بشكل مستمر.

خاتمة

يتناول البحث المقارنة بين رواية "ابن الفقير" لمولود فرعون و"الفقراء" لدوستويفسكي، يمكن التوصل إلى العديد من النتائج المعمقة والتي أفضتها فصول الدراسة والتي تفتح المجال لفهم أبعاد الفقر وتأثيراته على الفرد والمجتمع وتتمثل هذه النتائج في:

- تعدد أنواع تجليات المعاناة في العملين الروائيين بين الشخصيات والمعاناة في العنوان والزمان والمكان...الخ
- الفقر آفة تتراوح بين القدر والفعل الإنساني حيث توصلنا إلى فكرة الفقر في الروايتين يمثل قسوة القدر حيث يواجه الأفراد ظروفا اقتصادية واجتماعية صعبة خارج إرادتهم، وهذا يعزز فكرة أن الفقر قد يكون مصيرا لا يمكن تجنبه. في المقابل يمكن الفقر أن يكون ناتج عن قرارات الفرد وأفعاله سواء على مستوى الخيرات الشخصية أو على مستوى العوامل الاجتماعية التي تحد من الفرص.
- يظهر الفقر في الروايتين كعدو يقتل الإنسان داخليا ويحول دون تطوره الاجتماعي النفسي. فهو ليس مجرد قلة في المال، بل هو إعاقة للقدرة على التفاعل الإيجابي مع الحياة.
- نلاحظ من خلال الروايتين أن الفقر يقود الشخصيات إلى تطوير نظرة تشاؤمية اتجاه الحياة. حيث يتجسد ذلك في نظرة سلبية للوجود تجعل الشخص الفقير في حالة يأس دائم.
- نلاحظ في رواية الفقراء لدوستويفسكي كيف أن الفقر يعزل الشخصيات عن المجتمع ويجعلها تعيش في دائرة مغلقة. أما في رواية ابن الفقير يتجلى تأثير الفقر في التفاعل الاجتماعي، مما يدفع الشخصيات للتصرف بتوتر وحذر.
- تعكس الروايتين البنية الطبقية للمجتمع ويظهر كيف أن المجتمعات تقسم الناس إلى فئات تعامل بشكل غير عادل.

- الفقر يؤدي إلى تآكل الهوية الفردية والجماعية مما يعيق الطموحات.
- انعكاس تجارب الفقر في الأدب مما يبرز الألم والمعاناة.
- استعراض كيف يؤثر الفقر على سلوك الأفراد وتفاعلاتهم الاجتماعية، ممّا يؤدي إلى تفكك المجتمعات.
- يقدم تشريح المجتمع تحليلاً للهيكل الاجتماعي وتأثير الفقر عليه.

تعتبر الكتابة كمشروع اجتماعي بحيث يمكن أن تفهم في هذه الروايتين كنوع من الانتقاء الاجتماعي الذي يعكس الواقع الفعلي للمجتمعات الفقيرة، لتصبح أداة لانتقاد المجتمع بطريقة إبداعية حيث يختار الأديب الصور والقصص التي تبرز المعاناة الإنسانية وتكشف الظلم الاجتماعي.

ختامًا إنّ الأدب في جوهره يعكس تجاربنا الإنسانية المشتركة ويعبر عن آلامنا وآمالنا، من خلال تسليط الضوء على هذه التجارب نأمل أن نكون قد ساهمنا في تعزيز الوعي بمسألة الفقر وتأثيره.

قائمة المصادر والمراجع

أولا–القرآن الكريم

ثانيا– قائمة المصادر:

1. فيودور دوستويفسكي: **الفقراء**، ترجمة أحمد اللويزي، المركز الثقافي العربي، دار البيضاء، المغرب، ط1، 2015.
2. مولود فرعون: **ابن الفقير**، دار ثلانتقيث، ت، ر، عبد رزاق عبيد، بجاية–الجزائر، 2016.
3. مجد الدين محمد بن يعقوب آبادي: **القاموس المحيط**، أنس محمد السّامي وزكريا جابر أحمد، مجلد واحد، 2008.
4. مجمع اللغة العربية: **معجم الوسيط**، مكتبة الشروق الدولية، ط4، مصر العربية، 2007.
5. محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري: **لسان العرب** (باب الهمزة) ط1، دار المعارف، بكورنيش النيل، القاهرة، ج.م.ع.

ثالثا– قائمة المراجع

1. أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، دار البصائر، 2007، 1954–1962، ج10.
2. أحمد عبد الحليم عطيه: **الإنسان في فلسفة فيورباخ**، بيروت، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، 2008.
3. بلقاسم دفة: **التحليلي السيميائي للبنى السردية رواية "حمامة سلام"**، لنجيب الكيلاني أنموذجا، الملتقى الوطني الثاني، المنشورات الجامعية بسكرة، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2002.

4. حسام الدين فياض: **نظرية الفعل الاجتماعي عند ماكس فيبر، دراسة في علم الاجتماع التأويلي**، ط1، مكتبة نحو علم الاجتماع التنويري، 2018.
5. خولة رزيقي، سمية رزيقي: **الأنساق الثقافية في رواية "ابن الفقير" لمولود فرعون**، مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة الماستر، تخصص: أدب جزائري، 2022/2021، جامعة قالمة.
6. دوستويفسكي، **دراسات في أدبه وفكره**، مجموعة من المؤلفين، تر: د.نزار عيون السود، ط1، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1979.
7. رفيق غريري: **شوبنهاور وفلسفة التشاؤم**، ط1،دار الفرابي، بيروت، لبنان، 2008.
8. روبير اسكاربيت، **سوسيولوجيا الأدب**،تر: أمال أنطوان عرموني، ط3، عويدات للنشر والطباعة، بيروت–لبنان، 1999.
9. رينيه ديكارت: **الإنفعالات النفسية**، تر: جورج زيناتي، ط1، دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت–لبنان 1413هـ–1993.
10. زهرا دهان: "علاقة الشخصية بالمكان المغلق والمفتوح وتشكيل الفضاء الروائي، حامل الورد الأرجواني أنموذجا"، **مجلة إضاءات نقدية**، العدد 31، أيلول 2018.
11. زهرة ديك، **من روائع الأدب الجزائري، (مقتطفات من نصوص أبرز الأدباء الجزائريين)**، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، دط.
12. سامية إدريس: **تمثيل الصراع الرمزي في الرواية الجزائرية (دراسة في علم الاجتماعي النصّ الأدبي)**، ط1، منشورات ضفاف، بيروت، لبنان، 2015.
13. عبد الحق بلعابد: **عتبات (من النّص إلى المناص)**، ط1، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2008.
14. عبد الحميد بوزونية: **ظاهرة التطور الأدبي بين النظرية والتطبيق**، د.ط، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1979.
15. عز الدين إسماعيل: **التفسير النفسي للأدب**، د.ط، دار غريب للطباعة، 1990.
16. علي عبد راغب: **مشكلات اجتماعية معاصرة (نماذج مختارة من مجتمعات عربية معاصرة)**، ط2، مجموعة دلتا للنشر والتوزيع، الكويت، 1994.

17. عيسى مدور: "التفاعل بين الأدب والمجتمع (أدبيات محمد العيد آل خليفة أنموذجا)"، **مجلة التراث**، جامعة باتنة-الجزائر، العدد 03، 15-11-2012، ص ص 63-81.
18. لوسيان غولدمان وآخرون: **البنيوية التكوينية والنقد الأدبي**، تر: محمد سبيلا مؤسسة الأبحاث العربية، لبنان- بيروت، ط2، 1986.
19. لوسيان غولدمان: **الإله الخفية**، تر: الدكتورة زبيدة القاضي، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، د.ط، 2010.
20. لوسيان غولدمان: **الإله المتحجب: دراسة عن الرؤية المأساوية في "الأفكار"** لباسكال وفي مسرح راسين، تر: عزيزة أحمد وأنور مغيت، ط1، المركز القومي للترجمة، 2015.
21. ليلى داود وأحمد الأصفر: **الجماعة وخصائص التفاعل الاجتماعي**، جامعة دمشق، 2024، معتز عبد الله، **بحوث في علم النفس الاجتماعي والشخصية**، دار غريب، القاهرة.
22. محمد عجينة، عبد الرزاق عبيد: ترجمة مظاهر التراث الشعبي في رواية "ابن الفقير" لمولود فرعون، دراسات تحليلية مقارنة، رسالة ماجستر ،2013،جامعة وهران .
23. محمود عكاشة، محمد شفيق وعبد الرحيم مراكش: **ملخص وكتاب السلوك الاجتماعي: علم النفس الاجتماعي وتطبيقاته**، فبراير 2021.
24. مرتضي باكر أحمد عباس: "جمالية المكان في رواية الكونج لحمور زيادة، دراسة وصفية تحليلية"، **مجلة الأدب والعلوم الإنسانية**، المجلد 4، العدد 8، مارس 2021 ص ص 68 -83.
25. نهى عبد العزيز محمود يوسف: **مفهوم الألم في الفكر الفلسفي الأخلاقي، دراسة تحليلية من خلال نماذج ممثلة**، كلية الأداب، قسم الفلسفة، المؤتمر النسوي الدولي الرابع لقسم الفلسفة، كيف تقرأ الفلسفة رؤى إبداعية في هيرمنيوطيقا الزمن، مج2، ع2، 2016.
26. وائل الحارثي: "التأسيس المقاصدي للمشترك الإنساني"، **مجلة المعيار**، عدد62،جامعة أم القرى، مكة المكرمة، سنة 2021،ص ص 243-266.

27. يوسف نسيب: **ملولود فرعون، حياته وأعماله**، تر: حنفي بن عيسى، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائري، دط، رقم النشر: 08-01-1982.

هـ.المواقع الإلكترونية:

1. محاضرة السنة الثانية علم المكتبات في المجتمع والاقتصاد في الجزائر (1) PDF، نقلا من قاموس "La toupie" على الموقع:
https://www.latoupie.org/dictionnaire/société
2. اللجنة المعنية بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، جامعة مينسوتا، مكتبة حقوق الإنسان، الدورة الخامسة والعشرين، 2001، على الموقع:
http://www.hrlibrary.umm.edu، أطلع عليه يوم 17 ماي 2024، على الساعة 12:00 زوالا.
3. موسوعة أخصر للكتب-رواية الفقراء-دوستويفسكي، a5dr.com/wiki، اطلع عليه يوم 2024/05/20، على الساعة 12:49 (بتصرف).

ملاحق

ملحق رقم (01):
ظروف كتابة الروايتين
"الفقراء"

تعتبر الظروف التي كتب بها "دوستويفسكي" لرواية "الفقراء" مختلفة تمامًا عن أيّ رواية أخرى شرع في كتابتها وهو داخل السجن من أشهر أعماله ترجمت إلى لغات العالم. وصف للحالات الإنسانية.

مجموعة من الصفحات التي تتحدث عن النفس البشرية وتأثرها بالظروف المحيطة بها، وقد تناول الكاتب في روايته عدد كبير من فئات البشر الذين يختلفون مع بعضهم البعض في طبيعة الحياة والمستوى الاجتماعي[1].

استطاعت الرواية أن تتربع على عرش المؤلفات الروسية ومن روائع الأدب العالمي التي تناولت الحياة الاجتماعية للأفراد خلال الحكم القيصري، ويعتبرها الباحثين مصدرًا موثوقًا لحياة الأشخاص في ذلك الوقت.

ولتجسيد الرواية بصورة واقعية تطلب ذلك عدّة ظروف وعوامل ذات تأثيرات قوية ساعدت في تكوين المادة، ونجد منها: الظروف الاجتماعية والسياسية، فنجد "دوستويفسكي" عاصر فترة اجتماعية مليئة بالتناقضات والانقسامات الطبقية العميقة في روسيا، فامتازت هذه الفترة بالفقر الشديد الذي عان منه الشعب الروسي، ممّا أتيحت له الرؤيا المباشرة لمعاناة النّاس العاديين والبسطاء المهمشين، فهذه الخلفية الاجتماعية كانت دافقًا قويًّا لتسليط الضّوء على حياة الفقراء الذي جعل من هذه الأخيرة عنونًا لرواية.

---

[1]–دوستويفسكي، **دراسات في أدبه وفكره**، مجموعة من المؤلفين، تر: د.نزار عيون السود، ط1، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1979، ص من 6 إلى 10.

كما نجد تأثر "دوستويفسكي" بالأدب والأدباء الروسيين أمثال: "نيكولاي غوغول" والشاعر "بوشكين" الذي كان له تأثير كبير في تلك الفترة باعتباره من المعاصرين، جعل "دوستويفسكي" يتبنى أسلوبًا مشابهًا في تصوير الحياة والواقع الاجتماعي القاسي رابطًا بحياته الشخصية، حيث عاش في ظروف مالية صعبة خاصة بعد وفاة والديه، فكان عليه أن يعيل نفسه من خلال الكتابة، الترجمة، والعمل في وظائف مؤقتة، ممّا جعله يشعر بمعانة الفقراء بشكل شخصي وعميق لتنعكس هذه التجارب الشخصية في كتابه، حيث يظهر لنا تصويره المتكرّر للبؤس والمعاناة الإنسانية التي ركّز فيها بشكل كبير على الجوانب السلبية للحياة. وتصوير الواقع بصدق وموضوعية دون توظيف أو تجميل أو تحريف، ممّا يقودنا هذا إلى تأثر "دوستويفسكي" بالمدرسة الأدبية الطبيعية.

ومن ثمّ نجد تأثره بالفكر الفلسفي والإنساني التي أثرت في كتاباته حول الحديث عن العدالة، الظلم، المساواة التي ترك عنها كلّ من "فيكتور هوغو وفريدريك شيلر" آراء شامخة لاستكشاف الجوانب الأخلاقية والاجتماعية.

إضافة إلى التأثرات السابقة نجد دافع الفلسفة الوجودية التي ألهمته خاصة من خلال أعمال "جون جاك روسو" الذي تناول موضوعات الحرية، الفردية والطبيعة البشرية واستفاد من الأساليب الأدبية وتقديم شخصيات بعمق نفسي واجتماعي.

وباختصار نجد أنّ هذه العوامل تداخلت فيما بينها لتخلق بيئة مثالية لكتابة العمل وساهمت في صياغة رؤيته الأدبية ونقلها إلى القراء بعمق وإحساس، فرواية الفقراء لم تكن مجرد علم أدبي، بل كانت انعكاسًا صادقًا لحياة ومعاناة الطبقات المسحوقة في المجتمع الروسي، أي ممّا جعلها تحظى بتقدير واسع وكشفت عن موهبة "دوستويفسكي" الأدبية وأظهرت براعته الفذة.

تعد رواية "ابن الفقير" لمولود فرعون واحدة من الأعمال الأدبية البارزة التي جسدت الواقع الجزائري في فترة الاستعمار الفرنسي، تتناول الرواية حياة الفقر والمعاناة التي عاشها الجزائريون، مسلطة الضوء على النضال من أجل الكرامة والحرية، إلاّ أنّ هذه الرواية لم تكن نتاج صدفة، بل تشكلت تحت تأثير مجموعة معقدة من العوامل التاريخية والسياسية والاجتماعية والثقافية التي عايشها الكاتب لفهم العمق الحقيقي لهذه الرواية، من الضروري استعراض الظروف والعوامل المتعددة التي أثرت على "مولود فرعون" وألهمته لكتابة هذا العمل الأدبي الرائع، من الاحتلال الفرنسي وتأثيراته العميقة على المجتمع الجزائري. مرورًا بتجربة الكاتب الشخصية إلى التفاعل مع الأدب العالمي وحركات التحرر الوطني، كلّ هذه العوامل مجتمعة ساهمت في تشكيل الرؤية الأدبية "لفرعون"، وأضفت على روايته طابعًا خاصًا جعلها تتبوأ مكانة مميزة في الأدب العربي والجزائري.

ومن العوامل الأولى نجد الاستعمار الفرنسي، حيث كتبت الرواية في الاحتلال الفرنسي للجزائر (1830-1962)، وهذا الوضع الاستعماري أثر بشكل كبير على المجتمع الجزائري وعلى الكاتب نفسه، حيث كانت البلاد تعاني من شتى أنواع القمع كالثقافي، السياسي والاقتصادي والذي نربطه بالعامل الثاني الذي هو البنية الاجتماعية والاقتصادية، حيث صور حياة القروية البسيطة والصعبة، أيضا مركزًا على الفقر والحرمان والتحديات اليومية.

ومن أهم النقاط المهمة التي ساهمت في نشأة هذا العمل الروائي تتمحور حول التعليم الأدبي، ويكمن اهتمام المؤلف بشكل كبير بالتعليم كونه كان معلمًا باعتباره وسيلة لتحرير وتطوير المجتمع، وهذا الاهتمام بالتعليم يظهر في الرواية من خلال الشخصيات التي تسعى للمعرفة والتحصيل العلمي كوسيلة للهروب من الفقر. وهذا ما أثر على حياته الشخصية كون الرواية تعتبر شبه سيرة ذاتية، حيث استلهم المؤلف الكثير من تجربته الشخصية ونشأته في قرية "تيزي هيبل" بمنطقة القبائل ونقل من خلالها معاناته الشخصية ومعاناة مجتمعه، ومن ثم

نجد تأثره بالدعم الثقافي والتعليم بحيث كان هناك دعم متزايد من قبل بعض المؤسسات التعليمية والثقافية الفرنسية للكتاب الجزائريين الذين يكتبون بالفرنسية، ممّا أتاح لهم فرصة نشر أعمالهم والوصول إلى جمهور أوسع.

إضافة إلى التصورات السابقة نجد دافع المقاومة الثقافية، كون أنّ الثقافة الجزائرية الأمازيغية والعربية كانت تحت تهديد المستعمر الذي حاول طمس الهوية الثقافية، ونجد المؤلف استخدم الأدب كوسيلة للمقاومة الثقافية والحفاظ على الهوية الوطنية، وكآخر دافع نجد تأثره واهتمامه بالنّقد الأدبي والمجتمعي، بحيث كان هناك اهتمامًا متزايدًا في الأوساط الأدبية والمجتمعية بقضايا العدالة الاجتماعية والفقر، ممّا خلق بيئة نقدية محفزة لكتابة مثل هذه الأعمال.

ويمكن القول أن ظروف كتابة "مولود فرعون" تتجسد في بيئة استعمارية قاسية واجهها الشعب الجزائري تحت الحكم الفرنسي، ونشأت المؤلف في مجتمع فقير ومهمش اثر بعمق على رؤيته الأدبية وموضوعاته وتجاربه الشخصية مع الفقر والتمييز والاستغلال الاستعماري[1].

واستخدم "مولود فرعون" الأدب كأداة للنضال، مسلطًا الضوء على ضرورة الصمود والتمسك بالكرامة والهوية الثقافية في مواجهة الظلم. بالتالي تعكس أعماله روح المقاومة والإصرار على تحقيق العدالة والحرية، ومن خلال هذه التأثرات استطاع "مولود فرعون" أن يبدع رواية "ابن الفقير" التي أصبحت مرجعًا أدبيًا مهمًا في الأدب الجزائري والعربي.

[1]–ترجمة مظاهر التراث الشعبي في رواية "ابن الفقير" لمولود فرعون، دراسات تحليلي مقارنة، مذكرة.

وفي خاتمة البحث يمكن ربط ظروف كتابة "فيودور دوستويفسكي" وظروف كتابة "مولود فرعون" من خلال تأثير الفقر والظلم الاجتماعي والسياسي على حياتهما وأعمالهما الأدبية، عاش كلاهما في فترات وأماكن مختلفة لكنهما واجها تحديات مشتركة مثل التمييز والاضطهاد و الصراعات السياسية، تجارب "دوستويفسكي" مع الفقر والنفي في روسيا القيصرية، وتجارب فرعون مع الاستعمار الفرنسي في الجزائر، أثرت بشكل كبير على كتاباتهما، واستخدام كلاهما الأدب كوسيلة لتسليط الضوء على معاناة الفقراء والمهمشين والدعوة إلى النضال من أجل الكرامة والعدالة، بالتالي تتجلى في أعمالهما رسالة إنسانية مشتركة تعكس الصمود والأمل في مواجهة الظروف القاسية.

ملحق رقم (02):

تلخيص رواية "الفقراء" للكاتب "فيودور دستويفسكي"

1.ملخص رواية "الفقراء":

رواية "الفقراء" من أولى مؤلّفات الكاتب "دستويفسكي"، الفقراء كلمة رغم بساطتها إلاّ أنّها تحمل الكثير من المعاني قد تغيب عن حياة الكثيرين حتّى وإن قرأوا عنها فليس جميع كتابها هم "دستويفسكي"، فقد استطاع هذا الأخير الجمع بين بساطة حروف عنوان كتابه وعمق الكلمة (المادية منها والمعنوية).

فهي واحدة من الرّوايات الرسائلية تسرد القصّة من خلال المراسلات بين شخصين أحدهما موظف في خريف العمر والأخرى شابة في مقتبل العمر. وهي تعدّ باكورة أعمال الكاتب الرّوسي العظيم التي يعيد فيها اكتشاف معاناة الطّبقة الفقيرة من الشّعب الروسي العظيم التي يعيد فيها اكتشاف معاناة الطّبقة الفقيرة من الشّعب الرّوسي، كما تستكشف موضوعات عديدة مثل الحب والوحدة واليأس والرّحمة والعطف.

تروى القصّة على شكل سلسلة من الرّسائل بين شخصيتين، أوّلهما "ماكار ديفوشكين" يعمل في وظيفة كاتب حكومي في أدنى درجات الخدمة المدنية، يعيش في نزل بائس يتقاسمه مع ستّة مستأجرين آخرين مع عائلاتهم. يتقاضى "ماكار" أجرًا هزيلاً وهو شديد القلق والتوتّر باستمرار حول ثيابه البالية وحالته المتردية، كما إنّه مدين بصورة مستمرّة. أمّا ثانيهما فهي "فارفارا أليكسيفين" التي لديها صلة قرابة بعيدة "بماكار" والتي تعمل كخياطة، وتعيش مع مدبرة منزلها في وضع بائس مماثل على الجانب الآخر من الشارع.

تحكي القصّة عن الحبّ والصّداقة بين هاتين الشّخصيتين وكفاحهم من أجل البقاء عي قيد الحياة، ونظرا لكونهما فقراء فهما يواجهان شتى أنواع الأذلال اليومي الذي يصنعه المجتمع على الفقراء، فهؤلاء مجرّد أناس لا يحترمهم أحد.

2.رسائل متبادلة:

تبدأ الرواية عندما ينتقل "ديفو شكلين" لتوه إلى شقة جديدة تلك التي تواجه "فارفارا"، أو ربّما الوصف الأفضل لها أنّها "غرفة"، حيث يقطن معه في النزل العديد من الشّخصيات الأخرى التي يربط بينهما شغف العيش والمعاناة من الفقر. يقضي "ماكار" وقته في العمل ومن ثمّ العودة إلى شقته ليشرّع في كتابة الرّسائل "لفارفارا" ليقصّ عليها أحداث يومه، وقد ابتكرت "فارفارا"، فكرة ماكرة عن طريق استخدام ستائر حجرتها، فعندما تعلّقها يعرف أنّها تفكر فيه، وعندما تسدّ لها يعرف أنّه قد حان وقت النّوم.

من المؤكّد أنّ "ماكارا" شخصيّة حالمة وغريبة أكثر من "فارفارا"، حيث لديها حساسية وعاطفة أبوية عظيمة تجاه هذه الفتاة الفقيرة، كما يشعر أنّه مسؤول عليها، إلاّ أنّ "فارفارا" كافية تفكّر بطريقة عمليّة طوال الوقت، كما أنّها تشعر باليأس بشكل خاصّ بشأن مستقبلها ليس مستقبلها فحسب، بل إنّ العودة إلى التّفكير في ماضيها المزرع بعد موت أبويها يؤلمها بشدّة، فحياتها كانت عبارة عن سلسلة من المعانات نظرًا لفقرها بعد غناها.

نعلم من خلال الرسائل المتبادلة بينهما مدى تدني مستوى حياتهم، والألم والمعاناة التي يواجهها كلاهما، "فماكارا" لا يمتلك سوى أقلّ القليل ممّا يسمح له بالعيش إلاّ أنّه مع ذلك يرسل بعض الأموال القليلة إلى "فارفارا" لمساعدتها على مواجهة صعوبات ومشاكل الحياة اليومية. وكذلك تفعل "فارفرا" على الجانب الآخر، لكنّ في النهاية وبعد معاناة "فارفرا" مع المرض تقرّر أن تذهب لتتزوّج من أحد الأثرياء الذي كان على معرفة بها فيما مضى، ومن هنا يغضب "ماكارا" أشدّ الغضب لمفارقتها.

3.شخصيات رواية "الفقراء":

بطل رواية "الفقراء" هو أحد أبطال "دوستويفسكي" المهمشين الذين يعتقدون في قرارة أنفسهم إذا كانوا موجودين أم لا؟ "فماكارا" هو رجل فقير يعيش في غرفة صغيرة خلف مطبخ ويعمل كناسخ، لذا فليس لديه مساحة أو مساهمة أصلية خاصّة به، وشخصيته لا تنبض بالحياة إلاّ في رسائله ومن خلالها فهو إن كان يكتب نفسه ويخلق نفسه من خلال الكتابة، ولا يوجد إلاّ في الحوار مع "فارفارا".

ويمنحنا "دوستويفسكي" بعض الملامح النفسية لشخصياته من خلال بعض التشنّجات النفسيّة، على سبيل المثال نجد أنّ "ماكارا" لديه أسلوب متكرّر في كثير من الحالات، وهذا الأسلوب أكثر من أيّ شيء آخر يكشف للقارئ عن حالته العصبيّة وشخصيته شديد الدقة والضميرية، لذا فهو دائم التوتّر بسبب الظروف التي أجبر على العيش فيها، و"فارفارا" بالمثل، فكما يمكننا أن نرى من خلال رسائلها أنّها حساسة للغاية قادرة على حشر الكثير من المعاني في بضع عبارات بسيطة ولكنّ لديها أيضًا شعورًا بالذّنب أو الصّدمة الخفيّة، والتي نبدأ فقط في استكشافها من خلال روايتها "لبوكروفسكي"، هنا يمكننا أن نرى بعض التأثيرات الاسلوبية "لغوغول" على "دستويفسكي" والإزدهار النّفسي الذي يستخدمه ليعبرّ عن شخصياته، ولكن على عكس "غوغول" يتحدّث "دستويفسكي" بإحساس عميق وإنساني بالتعاطف.

ولقد تمّ تجميع هذه الرّواية بذكاء شديد، ممّا جعلنا نغوص في مراسلاتها والتّفكير في مواقف حياتهما في كلّ معطف. وربّما أحد أكثر الأجزاء المؤثرة في الرّواية هي عندما كشفت "فارفارا" لـ"ماكارا" عن يوميات كتبتها عندما كانت أصغر سنًّا، توضّح فيها بالتفصيل انتقال عائلتها من الرّيف إلى "سانت بطرسبرغ"، مشاكل ديون عائلتها، وموت والدها المبكّر، وتبنيها من قبل "خالتها" "أنا" ورعايتها العاطفية المشؤومة اللاّحقة مع معلّمها "بوكروفسكي"، كذلك روايتها لعلاقة "بوكروفسكي".

حيث تمّ إخبارنا عنه بطريقة مباشرة وواقعيّة، دون الكثير من الزّخرفة، ومع ذلك فإنّ التّأثير العاطفي مازال موجودًا وبشكل رائع.

قد يكون "دوستويفسكي" يتحدّث من خلال روآه، ويكشف لنا فقط ما يختار الكشف عنه. ويوفّر "دستويفسكي" قدرًا كبيرًا من المساحة للتفاصيل العادية والتّافهة والاقتصادية لحياة أبطاله، وكيف يمكن أن تؤدي الحاجة إلى بذلة جديدة أو زوج جيّد من الأحذية إلى مشاكل كبرى. وهذا هو الحال بشكل خاص في حالة "ماكارا"، حيث أنّ وظيفته ككاتب نسخ محتقر كانت معرضة للخطر في وقت من الأوقات سبب أحد الأزرار التي سقطت من سترته، وهو ما حدث أمام المسؤول الحكومي. هنا ينقاد القارئ إلى هذه النقطة بشعور من الرّهبة المطلقة لما سيحدث له. لكن لحسن الحظ يشفق "صاحب المعالي" على "ماكارا" ويعطيه فرصة أخرى بالإضافة إلى إعطائه بعض المال من أجل شراء ثياب جديدة.

ملحق رقم (03):

تلخيص رواية "ابن الفقير" للكاتب "مولود فرعون"

تجري أحداث رواية "ابن الفقير" في قرية جزائرية من قرى القبائلية الجبلية الكبير، بحيث أنّ القادم إليها يرى بيوتها المتراصة كأنّها بيت واحد هي قرية "تيزي هيبل".

تمحورت الرواية حول قصّة الصبي "فورولو منراد" الذي ولد من أسرة كانت من أفقر الأسر القبائلية، كان يعيش حياة صعبة، محاولا أن يحتفظ بعاداته وأخلاقه وقيمه التي ورثها عن آبائه وأجداده، فتظهر لنا الرواية بأنّها خاصّة ببلاد القبائل فقط، ولكنّها هي رواية الشّعب والمجتمع الجزائري كلّه. أو بالأحرى هي خاصّة بالفئات الاجتماعية الفقيرة، وتدور أحداث الرواية عقب نهاية معركة الجزائر عام 1957م، حيث تجسّد لنا الحياة القبائلية بكلّ حيثياتها الكبيرة والصغيرة، وأشكال المواجهة التي يعانيها الأهالي ضدّ الحاجة والفقر، المرض والموت، وهذا باشتغال عدّة أعمال من صناعة الفخار، وجني الزّيتون والتّين، ورعاية الأغنام.

لقد شبّ وترعرع "فورولو" في تلك القرية القبائلية التي لا تزال تؤمن بعادات الموروثة من الماضي تسودها أخلاق وأنماط حياة الأجداد، كما نجد "فورولو" يتكبّد عناءً من أجل إجادة لغة وثقافة غريبة، وهنا يتمثّل في دراسته في ثانوية فرنسية، إلاّ أنّه يشعر دائما بأنّه غريب وكذلك الخوف من الفشل والإحباط، ولكنّ يصرّ "فورولو" على إكماله ما بدأ به ليحقّق ذاته وكيانه قاهرًا جميع الظروف المحيطة به، وكان دائما يردّد: «وحدي وحدي في هذه المعركة الرهيبة التي لا ترحم».

وبطل الرواية يولد بنفس العام الذي ولد فيه "مولود فرعون" ويعيش بنفس القرية التي عاش فيها "مولود فرعون" في الجبال، والكاتب والبطل يكبران ويتحديان المصاعب ويعملا معلمين، وله خالتان، الأولى تموت وهي تلد أوّل طفلها، والثّانية التي كانت تعلّمه كيف يواجه مصاعب الحياة تصاب بمرض عقلي ويحتجزونها في مكان بعيد.

وتبدأ معاناته بعد انتهائه من المدرسة الابتدائية، حيث أن المدرسة المتوسطة بعيدة ولا يوجد مكان ليبيت فيه، فيعرض عليه "عزيز" وهو طالب فقير مثله أن يبيت معه في نفس البيت، ونرى أيضا خلال الرواية اللّحظات الجميلة التي يعيشها أهل القرية في جني الزيتون والثّمار، وكان "فورولو" في بداية الأمر يعاني من عقدة النّقص بجانب الطلاب المحيطين به، ولكنّ حلولا كثيرة التي تعتبر مخرجًا للفقر والبؤس، وهي الهجرة إلى فرنسا، "فرمضان" أبو "فورولو" سافر إلى فرنسا وهذا ليس من أجل اتّباع شهوته أو مغامرته العاطفية مع الفرنسيات أو نزعات سياسية، وإنّما من أجل توفير المال لعائلته ولتسديد ديونه.

كما نرى أنّ الرواية تعتبر سيرة ذاتية، ولكنّ الأديب استطاع أن يتحدّث عن حياة شعبه بصوت واحد، فحينما نقرأ الرّواية نحسّ حقًّا بما يشعر به الكاتب، وما يعانيه الشّعب الجزائري من عذاب وشقاء وجهل. والرواية هما مثال حيّ على إنسان يريد الحياة، يقاوم الظّروف ويتحدى الصّعاب ليصل إلى مبتغاه، يصبر على الأيام لتصل إلى ذروتها[1].

[1] –خولة رزيقي، سمية رزيقي: **الأنساق الثقافية في رواية "ابن الفقير" لمولود فرعون**، مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة الماستر، تخصص: أدب جزائري، 2022/2021، ص 54.

ملحق رقم (04):

صورة رواية "الفقراء" للكاتب "فيودوردستويفسكي"

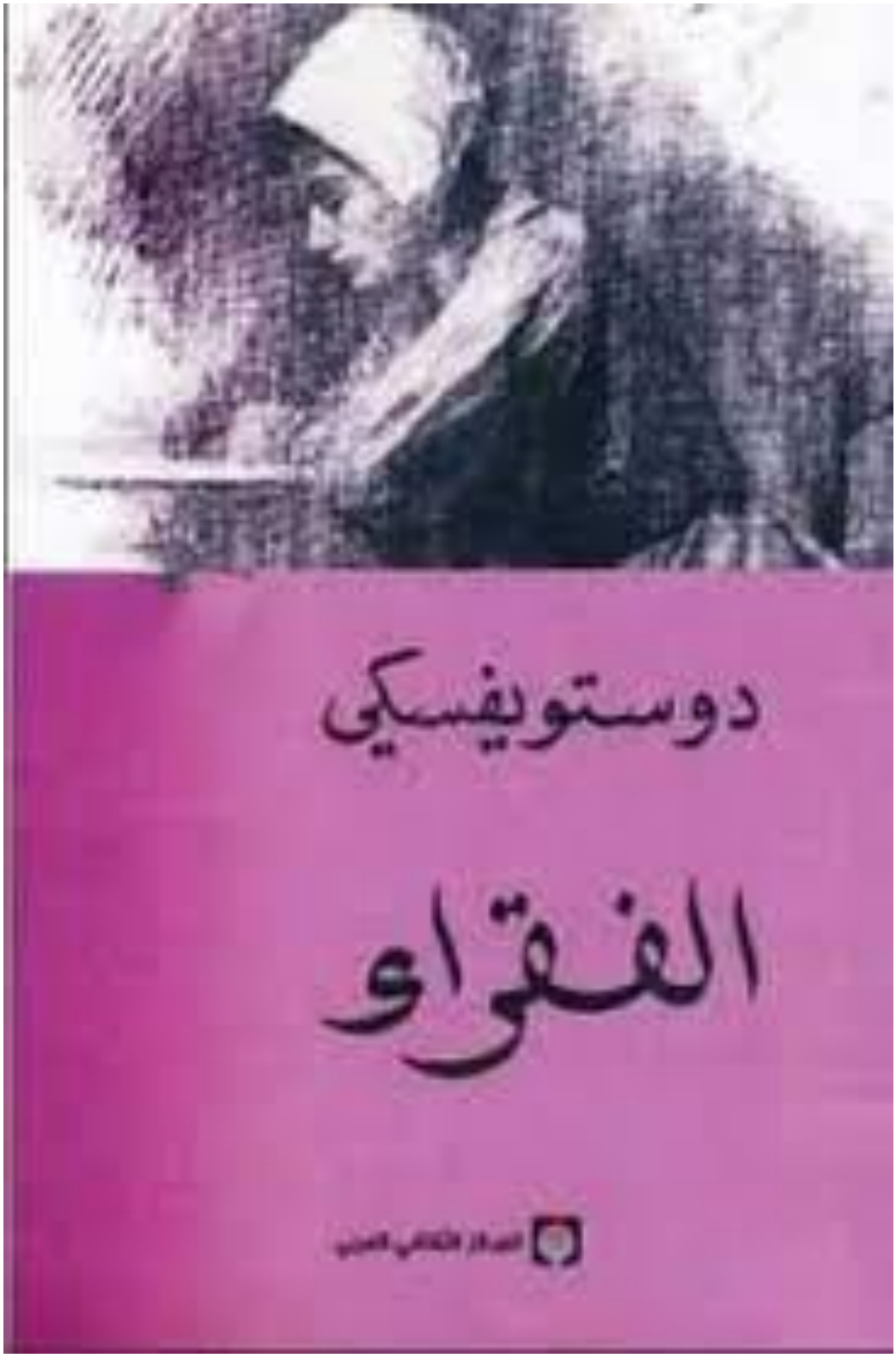

ملحق رقم (0):

صورة رواية "ابن الفقير" للكاتب "مولود فرعون"

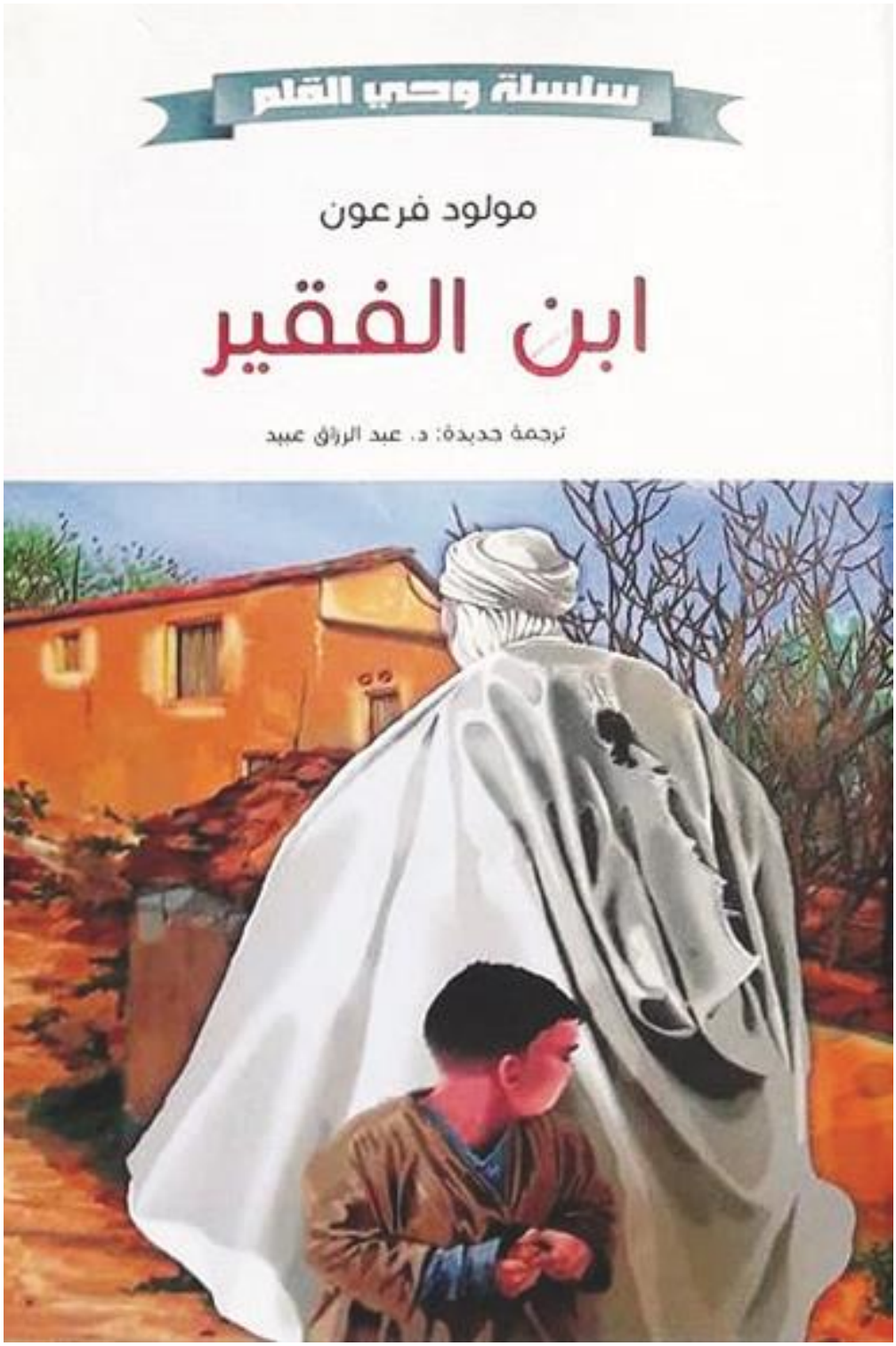

فهرس الموضوعات

كلمة شكر

إهداء

مقدمة ..... **- 1 -**

مدخل

1-مفهوم الإنسان: ..... **- 6 -**

1-1-لغة: ..... - 6 -

1-2-اصطلاحا: ..... - 6 -

1-3-الإنسان المنظور الإسلامي: ..... - 7 -

2-تعريف المجتمع: ..... **- 8 -**

2-1-لغة: ..... - 8 -

2-2-اصطلاحا: ..... - 9 -

3-تعريف الفقر: ..... **- 9 -**

3-1-لغة: ..... - 9 -

3-2-اصطلاحا: ..... - 10 -

4-مفهوم المشترك الإنساني: ..... **- 11 -**

4-1-لغة: ..... - 11 -

4-2-اصطلاحا: ..... - 12 -

الفصل الأول:

الفقر وتراجيديا الأمل في العيش

تمهيد: ..... **- 15 -**

1-الأديب صورة مصغّرة من المجتمع : ..... **- 16 -**

1-1-فيودور دوستويفسكي: ..... - 16 -

1-2-مولود فرعون: ..... - 19 -

2-الفقر بين فعل القدر وفعل الإنسان: ..... - 22 -

3-الفقر قتل لفعل الذّات الفردي والجمعي: ..... - 31 -

4-الفقر عدو الإنسان : ..... - 44 -

الفصل الثاني:

الكتابة الإبداعية نضال من أجل إثبات الوعي الجمعي

تمهيد: ..... - 54 -

1- وقفة عند العنوانين: ..... - 55 -

1-1-الفقر والتهميش: ..... - 65 -

1-2-الظلم الاجتماعي: ..... - 65 -

1-3-النضال من أجل الكرامة: ..... - 66 -

1-4- البعد الإنساني والمعاناة النفسية: ..... - 66 -

1-5- النقد الاجتماعي: ..... - 67 -

1-6-الأسرة والعلاقات الشخصية: ..... - 68 -

1-7-الأمل والمقاومة: ..... - 68 -

2-الرؤية المأساوية للحياة: ..... - 69 -

3-تداعيات السلوك الاجتماعي وتشريح المجتمع: ..... - 73 -

4-الكتابة انتقاء للمجتمع: ..... - 78 -

خاتمة: ..... - 87 -

قائمة المصادر والمراجع ..... - 90 -

فهرس الموضوعات ..... - 109 -

ملخص الدراسة

ملخص الدراسة باللّغة العربية:

تناولنا في بحثنا موضوع "المشترك الإنساني في روايتي "الفقراء" للأديب الروسي "دوستويفسكي، و"ابن الفقير" للأديب الجزائري "مولود فرعون"، حيث تعتبر الروايتين من أهم القوالب الجامعة للظواهر الاجتماعية والتجارب المعقدة التي يعيشها الفرد، فمن خلال الشخصيات المتنوعة قدمت الروايتان تحليلاً شاملاً لمظاهر الفقر ومعاناتهم في بيئتين مختلفتين، وقد برز أسلوب الكاتبين في الوصف الدقيق وتكثيف الروايتين بالرموز لفهم رسائل التي يريد ايصالها للقارئ والعالم.

الكلمات المفتاحية:

المشترك الإنساني، الفقر، المجتمع، القضايا الاجتماعية.

ملخّص الدّراسة باللّغة الفرنسية:

Nous avons abordé le thème de l’humain commun dans les romans « les pauvres gens » de l’écrivain russe Dostoïevski, et « le fils du pauvre » de « Mouloud Feraoun », où ces deux romans sont parmi les modèles les plus important rassemblant les phénomènes sociaux et les expériences complexes vécues par l’individu. A travers les divers personnages, ces romans ont offert une analyse approfondie des aspects de la pauvreté et de leurs souffrances dans deux environnements différents. Le style des écrivains s’est démarqué par une description précise et l’intensification des romans par des symboles pour comprendre les messages qu’ils veulent transmettre au lecteur et au monde.

Mots clés :

La solidarité humaine, pauvreté, la société, problèmes sociaux.